لم ار رجلاً افضل من محمد ولم ار بني ابٍ افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل يا محمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم
على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم اهبطني
في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينه وقذف بي في النار في صلب ابرهيم ثم
لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمه والارحام الطاهره حتى اخرجني من ابوي لم يلتقيا على
سفاح قط والى هذا اشار العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه بقوله يمدحه
صلى الله عليه وسلم

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغه ولا علق
بل نطفه تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق

وروي عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريره وجابر ابن عبد الله
قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيره شهر وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم
ولم تحل لنبي قبلي وبعثت للناس كافه واعطيت الشفاعه وفي روايه اخرى وعرض
علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي روايه بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود
العرب لان الغالب على الوانهم الادمه فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود
من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريره نصرت بالرعب
واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جي بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي
وفي روايه عنه وختم بي النبيون وعن عقبه بن عامر انه قال صلى الله عليه وسلم
اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت
مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم
ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي
الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنه النار وحمله العرش
وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعه ومن روايه ابن وهب انه صلى الله عليه
وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسلك يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت
موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى
اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جو السماء

وجعلت لي الارض طهورا اكرما لامتك وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس
مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك شفاعتك
ولم اخبها لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفة بشرني ربي به اول من يدخل معي الجنة
من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا
تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا
وطيب لي ولامتي الغنائم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج
وعن ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من الايات
ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون
اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقا معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات
الانبيا ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف عليها قرن بعد قرن
عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نحبته وقد بسطنا القول فيه وفيما
ذكر فيه شواهد اخرنا المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجبا
من امته واعطي نبيكم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى
الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمومنين وانها
لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته
ودعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه
على اهل السموات وعلى الانبيا صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السما قال ان الله
قال لاهل السما ومن يقل منهم اني اله من دونه وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا الايات
قالوا فما فضله على الانبيا قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية
وقال لمحمد وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا
من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه
عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله تعالى
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورات امي حين حملت بي انه خرج منها
نور اضاءت له قصور الشام من بصرى واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع
اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة
رجال بطست من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري

الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سودا فطرحاها ثم
غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيا فاذا
بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه
وامر الاخر يده على مفرق صدري فالتام وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد
فيه عينان تنظران واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته
فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني ثم قال زنه بالف من امته فوزنني
فرجحتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى
صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد
بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله
معك وملايكته قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة
وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان ادم عند معصيته قال
اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رايت
في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل
قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وفي الرواية الاخرى فقال ادم لما خلقتني
رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس
احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي
انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر
الاستغفار لاهله — وروي عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملايكة سياحين عبادتهم لكل دار فيها احد
اسمه محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمرا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السما اذا على العرش مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان
تحته كنز لهما قال لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن
ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمين اليها انا الله لا
اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله
الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب
محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السنبطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان

مولودا ولد على احدى جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وذكر الاخباريون
ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروي
عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل
الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك
سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا وعنه صلى الله عليه وسلم
ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى
قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته
وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله
فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث فصل
في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والروية وامامة الانبياء والعروج
به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى ومن خصايصه عليه السلام قصة
الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح
الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وقال
والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء
به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله وشرح عجايبه وخواص محمد
صلى الله عليه وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير الى
زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بكر سماعا
عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا نا ابو العباس العذري نا ابو
العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا شيبان بن فروخ
نا حماد بن سلمة نا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند
منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت به بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها
الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من
لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل
فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا
بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح فقيل

من

من انت قيل جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا
بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى
السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد
اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى الرابعة وذكر مثله فاذا
انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء
الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة
فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا
ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع
ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى
موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف
فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم فرجعت الى ربي فقلت يا رب
خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون
ذلك فارجع الى ربك فاساله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال
يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيا
فان عملها كتبت سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاساله
التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت
منه قال القاضي رضي الله عنه جود ثابت هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات احد
عنه باصوب من هذا الحديث وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية
شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجي الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان
وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء
ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل
هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجي جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة عن حديث الاسراء
كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان

قصة واحدة والله وصلى الى البيت المقدس ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره
وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فرج سقف بيتي نزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جا بطست من ذهب
ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السما فذكر القصة
وروى تمام الحديث عنه عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقدم وتاخير وزيادة ونقص
وخلاف في ترتيب الانبيا في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في
حديث الاسرا زيادات نذكر منها ركنا مفيدا في غرضنا منها في حديث ابن شهاب
وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابرهيم فقالا له والابن
الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري
ما هو قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته موسى بكى فنودي
ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي
حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبيا فحانت الصلاة فاممتهم فقال قائل يا محمد
هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم سار
حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى الصخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة
قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال
نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا فاثنوا اللهم
على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن
ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على
ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شي وجعل امتي خير
امة وجعل امتي وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع اللهم
عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد
ثم ذكر انه عرج به الى السما الدنيا ومن سما الى سما نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود
وانتهى الى سدرة المنتهى وهي في السادسة اليها يهبط من فوقها فيقبض منها قال
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع
ابن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك مضى على سبيلك وهي السدرة

المنتهى

المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر
لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان
ورقة منها مظلة الخلق تغشيها نور وتغشيها الملائكة قال فهو قوله اذ يغشى السدرة
ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا
عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت
له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ
الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه
تعالى قد اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس
كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى
يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا
من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها
نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى فقال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات
وقال ما كذب الفواد ما راى الايتين وراى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك
انه راى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله
فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى
بالانبيا ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم
اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر
فقعدت في واحدة وقعد جبريل في الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمست
السما وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه حلس لاطي فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح
لي باب السما ورايت النور الاعظم واذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت ثم اوحى الله
الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى
ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت
عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم
فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق

مكانا اذا زهذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر
فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا
الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية
الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك
بيد محمد فقدمه فام اهل السما فيهم ادم ونوح **قال** ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين
راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي
رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون
والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار
خلقه وبصايرهم وادراكاتهم بما شا وكيف شا ومتى شا كقوله انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون
فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه
من ملايكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته ويدل
من الحديث قول جبريل عن الملك من وراء الحجاب فدل على ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل
عليه قول كعب في تفسيره عن سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الخلق من الملايكه وعندها
يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش
الرحمن او امرا ما من عظيم اياته ومبادي حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسل
القرية التي كنا فيها اي اهل القرية وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره
انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان لبشر الاية اي
وهو لا يراه حجب بصره عن رويته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه
فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره فراه والله اعلم

فصل ثم اختلف السلف والعلما هل كان اسرا بروحه او جسده على ثلث
مقالات فذهبت طايفة الى ان اسري بالروح وانه رويا منام مع اتفاقهم ان رويا الانبيا
حق ووحي والى هذا ذهب معويه وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار
محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس وما حكوا
عن عايشه رضي الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا
انا نايم وقول انس وهو نايم في المسجد الحرام وذكر القصه ثم قال في اخرها فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسري بالجسد وفي اليقظة
وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفه وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة

وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتاده وابن المسيب وابن شهاب
وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمه وابن جريج وهو دليل قول عايشه وهو
قول الطبري وابن حنبل وجماعه عظيمه من المسلمين وهذا قول اكثر المتاخرين من الفقها والمحدثين
والمتكلمين والمفسرين وقالت طايفه كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السما بروحه
واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الغاية اليه
ووقع التعجب فيه بعظيم القدره والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم واظهار الكرامة
له بالاسرى اليه قال هاولا ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره
فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس
وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفه بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق
حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شا الله انه اسرا بالجسد والروح
في القصه كلها وعليه يدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة
الى التاويل الا عند الاستحاله وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته استحاله ولو كانت
مناما لقال بروحه ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما ما كانت فيه ايه
ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفا من اسلم وافتتنوا
به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه
وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبيا ببيت المقدس في رواية انس
او في السما على ما روي غيره وذكر مجي جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السما
فيقال ومن معك فيقول محمد ولقايه الانبيا فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلاه
ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى
السماء الى قوله ثم عرج بي الى مستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه
دخل الجنه وراى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رويا عين راها النبي صلى الله عليه وسلم
لا رويا منام وعن الحسن فيه بينا انا نايم في الحجر جاني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم
ار شيا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلثا فقال في الثالثه فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد
فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هاني ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو في بيتي تلك الليله صلى العشا الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشا الاخرة
كما رايت بهذا الوادي ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان

كما ترون وهذا دليل انه اسري به بجسمه وعن ابي بكر من رواية شداد بن اوس رضي الله عنه انه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك
فاجابه ان جبريل عليه السلام حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قايم معه
انية ثلث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها
وعن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح
صدري ثم غسله بما زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس اتيت فانطلقوا
بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي
فسالتني عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه
عن جابر وقد روي عن عمر بن الخطاب في حديث الاسرا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها **فصل** في ابطال حجج من قال انها نوم
واحتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة فسماها رويا قلنا قوله تعالى
سبحان الذي اسرى يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يويد انها رويا عين
واسرا بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه
من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية
فذهب بعضهم الى انها نزلت في قصة الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير
هذا واما قولهم انه سماها مناما في الحديث وفي حديث اخر بين النايم واليقظان وقوله ايضا
وهو نايم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان
وهو نايم وليس في الحديث انه كان نايما في القصة كلها الا ما دل عليه ثم استيقظت
وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد
وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليلته وانما كان في بعضها وقد يكون
قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت
السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملكوت الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى
فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه
واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورويا الانبيا
حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو هذا قال تغميض
عينيه لييلا يشغله شي من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبيا

ولعله

ولعله كانت له في هذا الاسرا حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النايم
من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نايم وربما قال مضطجع وفي رواية
هدبة عنه بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النايم
واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النايم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه
الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من
رواية شريك عن انس وهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة
انما كانت في صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث
والاسرا كان باجماع بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين
من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة
عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة
كان ابو ذر يحدث واما قول عايشة ما فقدت جسده فعايشة رضي الله عنها لم تحدث به عن
مشاهدة لانها لم تكن حينيذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على
الخلاف في الاسرا متى كان فان الاسرا كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه
بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل
كان الاسرا لخمس قبل الهجرة وقيل بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا
فاذا لم تشاهد عايشة ذلك دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها
وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هاني وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت
والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هاني وما ذكرت فيه خديجة وايضا
فقد روي في حديث عايشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم
الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسمه لانكارها
ان يكون رويا رويا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال
تعالى ما كذب الفواد ما راى فقد جعل ما راه القلب وهو يدل على انه رويا نوم
ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد
اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير ما كذب الفواد ما راى اي لم يوهم القلب
العين غير الحقيقة بل صدق رويتها وهذا فيه من القوة ان العين والقلب اتفقا
على حقيقة الامر من غير شك ولا تردد وقد قال بعضهم ما انكر قلبه ما رات عينه
فصل واما رويته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف

فيها فانكرته عايشه رضي الله عنها حدثنا ابو الحسن سراج بن عبد الملك الحافظ بقراتي عليه
قال نا ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا نا القاضي يونس بن مغيث نا ابو الفضل الصقلي
نا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا نا عبد الله بن علي نا محمود بن ادم نا وكيع عن ابن ابي خالد
عن عامر عن مسروق انه قال لعايشه يا ام المومنين هل راى محمد ربه قالت لقد قف شعري مما قلت
ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الا
بصار الايه وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشه وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريره
انه قال انما راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رويته في الدنيا جماعة من
المحدثين والفقها والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينه وروى عطا عنه راه بقلبه وعن
ابي العاليه عنه راى ربه بفواده مرتين وذكر ابن اسحاق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يساله
هل راى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينه روى عنه ذلك من طرق وقال
ان الله اختص موسى بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالرويه وحجته قوله ما كذب الفواد ما
راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه
ورويته بين موسى ومحمد فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث
السمرقندي الحكايه عن كعب وروى عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن
عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال
ان الله قسم رويته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي
ذر في تفسير الايه قال راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي
وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل هل رايت ربك قال رايته بفوادي ولم اره بعيني
وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي وذكر كلمه فقال
يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى
محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمه وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود
وحكى ابن اسحق ان مروان سال ابا هريره هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل
انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد
وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول برويته في الدنيا بالابصار
وقال سعيد بن جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف في تاويل الايه عن ابن عباس وعكرمه
والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمه راه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود
راى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطا في قوله الم نشرح

لك صدرك قال شرح الله صدره للرويه وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل
الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه راى الله تعالى ببصره وعيني راسه وقال كل
ايه اوتيها نبي من الانبيا عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل الرويه
ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جايز ان يكون قال القاضي ابو
الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امترا فيه ان رويته في الدنيا جايزه عقلا وليس في العقل
ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سوال موسى عليه السلام الرويه ومحال ان يجهل نبي ما يجوز
على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسال الا جايزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب
الذي لا يعلمه الا من علمه الله فقال الله لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رويتي ثم ضرب له مثالا مما
هو اقوى من بنيته واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رويته في الدنيا بل فيه جوازها
على الجمله وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرويته
جايزه غير مستحيله ولا حجه لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف
التاويلات في الايه واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحاله وقد استدل بعضهم
بهذه الايه نفسها على جواز الرويه وعدم استحالتها على الجمله وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار
وقيل لا تدركه لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار انما يدركه المبصرون
وكل ذلك لا يقتضي منع الرويه ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني وقوله تبت
اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل
وايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جات في حق موسى وحيث تتطرق التاويلات وتتسلط
الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك من سوالي ما لم تقدره لي وقد قال
ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات
وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رويته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف
تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيره عرضا للافات والفنا فلم تكن لهم قوة على الرويه
فاذا كان في الاخره ركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابته باقيه واتم انوار ابصارهم
وقلوبهم قووا بها على الرويه وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا
لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني واذا كان في الاخره ورزقوا ابصارا باقيه رئي الباقي
بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحاله الا من حيث ضعف القدرة
فاذا قوى الله من يشا من عباده واقدره على حمل اعبا الرويه لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما
ذكر في قوه بصر موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم ونفوذ ادراكهما بقوة

الهيبة شحاها الادراك ما ادركه ورويه ما راياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في
اثنا اجوبته عن الاشعري ما معناه ان موسى عليه السلام راى الله فلذلك خر صعقا وان
الجبل راى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له فاستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن
انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر
موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله
بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى راه وقد
وقع لبعض المفسرين في الجبل انه راه وبرويه الجبل له استدل من قال برويه محمد نبينا
له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الايات دليل قاطع بالمنع واما
وجوبه لنبينا والقول بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على
ايتي النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم
فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية وحديث معاذ محتمل
للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الاخر مختلف محتمل مشكل
وروي نور اني اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي نوراني اراه وفي حديثه الاخر
سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرويه فان كان الصحيح
رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى نورا منعه وحجبه عن رويه الله والى هذا
يرجع قوله نور اني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما
في الحديث الاخر حجابه النور وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين
وتلى ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر او القلب او كيف يشا
لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة
فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالى **فصل** واما ما ورد في هذه القصة
بلغ من مناجاته لله وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث
فاكثر المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا الشذوذ منهم فذكر
عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى اليه بلا واسطه ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب
بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسرا وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن
مسعود وابن عباس وانكره اخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسرا
عنه صلى الله عليه وسلم في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت

كلام ربي

كلام ربي وهو يقول ليهدا روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس في الاسرا نحوه وقد
احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل
رسولا الاية فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال الملائكة كحال
جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من
تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب
النبي دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسرا ما هو اوضح في سماع
النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الاية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر
فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان
مثل ذلك ويجي الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول
فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد
في الشرع قاطع بمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع
به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث
في السما السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام
فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شا بما شا ورفع بعضهم
فوق بعض درجات واما ما ورد في حديث الاسرا وظاهر الاية من الدنو والقرب
من قوله دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو منقسم ما
بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى
قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في
القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا
من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى
الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شا ان يريه من قدرته وعظمته قال
وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت
كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه ما شا واوحى اليه خمسين صلاة
وذكر حديث الاسرا وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين او
ادنى قال وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر

ان محمدا الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو
الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنى محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى
بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو
مكان ولا قرب مدا بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي
صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق
انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط
واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سما الدنيا على احد الوجوه نزول
افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة
بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله
قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عايدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية
القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة
عن اجابة الرغبة وقضا المطالب واظهار التحفي وابانة المنزلة والرتبة من الله له ويتاول
فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب
بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص
من الكرامة حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين ثنا ابو يعلى ثنا الشيخ
ابو محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام عن حرب بن ليث
عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لوا الحمد بيدي وانا اكرم
ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس عن انس
خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا
حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لوا الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربه ولا فخر
يطوف علي الف خادم كانهم لولو مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة
ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي لوا الحمد
ولا فخر وما من نبي يوميذ ادم فمن سواه الا تحت لوايي وانا اول من تنشق عنه الارض
ولا فخر وعن ابي هريرة رضي الله عنه انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق عنه القبر

واول

واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لوا الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول
شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقرا
المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع
في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس
يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة
وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع ان اكون اعظم الانبيا اجرا يوم القيمة
وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي
يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبيا
اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس
به قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا وفي الاخرى ولكنه صلى الله عليه وسلم
اشار الى يوم القيمة لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجا الناس اليه في
ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا الناس اليه في حوايجهم فكان حينيذ سيدا
مفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك
في الدنيا وكذلك لجا الى محمد جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى
وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول
الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سوا وماوه ابيض
من اللبن وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السما من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي
ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان
مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة
وصنعا وقال انس ايلة وصنعا وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض
ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد
وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله
ابن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة وابو سعيد
الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبرا وجندب وعايشة واسما بنت ابي بكر
وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم فصل في تفضيله بالمحبة والخلة جا

بذلك الاثار الصحيحه واختص على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القسم بن
ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد ثنا ابو الهيثم ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد
ابن اسمعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا ابو عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر عن بشر بن سعيد عن ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا وفي
حديث وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم
خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج
حتى اذا دنى منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه
خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام الله تعالى لموسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى
كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم
وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله
وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا واني حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوا الحمد
يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقرا المهاجرين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين
ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك
خليلا فهو مكتوب في التوراة انت حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه
اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال
بعضهم اصل الخلة الاستصفا وسمي ابرهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة
الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ
من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه
ولم يجعله قبل غيره اذ جاه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال الك حاجة قال
اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفا المودة التي توجب الاختصاص
بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف
والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى
نحن ابنا الله واحباوه الاية فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه قال هذا
اقوى والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ومحمد عليهما

السلام

السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوايجهما عليه والانقطاع عمن دونه
والاضراب عن الوسايط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه
عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الالهية ومكنون غيوبه ومعرفته او لاصطفايه
لهما واصطفا قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل
من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلما ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة
او درجة المحبة فبعضهم جعلها سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه
خص ابرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله
عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة رضي الله عنها
وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا
ارفع من درجة الخليل ابرهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق
من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق واما الخالق جل جلاله فمنزه
عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيية اسباب القرب
وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته
فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد الى الله والانقطاع اليه
والاعراض عن غير الله وصفا القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عايشة رضي
الله عنها كان خلقه القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة
بقوله شعر

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا

فاذا ما نطقت كنت حديثي ... واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه
الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار
انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى غيظا لهم ورغما
على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها
بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن
فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملته اشارات الى تفضيل

مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر طرفا منه يهدي الى ما بعده فمن ذلك قول الخليل يصل بالواسطة
من قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل لحبيبه به اليه من قوله
فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي يكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي
فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها
النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين والحبيب قيل له ورفعنا
لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب
قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد
اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم
اعلم بمن هو اهدى سبيلا **فصل** في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود
قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني
فيما كتب لي بخطه نا سراج بن عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا ابو زيد وابو احمد
قالا نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل قال نا اسمعيل بن ابان نا ابو الاحوص عن ادم بن
علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها
يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله
عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني عن قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك الاية فقال هي الشفاعة
وروى كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيمة فاكون
انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شا الله ان اقول
فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة
الجنة وعن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا
يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية
هو المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تعالى الحديث
وعن ابي موسى عنه عليه السلام خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين وعن ابي هريرة

قلت

قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا
يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما يلقى امتي من
بعدي وسفك بعضهم دما بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوليني
شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي
وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول لبيك
وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك
لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي
ذكره الله وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فتبقى اخر زمرة من الجنة واخر
زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم
اهل الجنة فيسالون ادم فمن بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم
فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قال قلت نعم
قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة
في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وفي رواية انس وابي
هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في بعض قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين والاخرين
يوم القيمة فيهتمون له وقال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق اخر عنه ماج
الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون ادم فيقولون زاد بعضهم
انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك
ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول
ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت
نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى
اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى الى ما نحن فيه الا ترى الى ما بلغنا الا تشفع
لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير
علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى
ابرهيم فانه خليل الله فياتون ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر

الى

ثلاث كذبات نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد
اتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فياتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي
اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فياتون عيسى
فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فياتوني فاقول انا
لها فانطلق فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي
تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الا ان
يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد الله
قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي
فاقول يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب
الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل
وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل
تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او
شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر
مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل
وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول
يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي
وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادري
في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي وجب عليه الخلود
وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال فياتون محمدا فيؤذن له وتاتي
الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون
محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال
ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس
وذكر اخرهم جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم يوضع للانبيا منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا
اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع
بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار
حتى

حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق الارض عن جمجمته ولا
فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لوا الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح
له الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني
الجبار تعالى فاخر له ساجدا واذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف
الفاظ هذا الحديث وغيره ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من اول الشفاعات
الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف
مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط
ويحاسب الناس كما جا في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن فيشفع في
تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب
ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس
هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة واختبات
منهم من دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم
ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها
ما لا يعد لكن حالهم عند الدعا بين الرجا والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاوا
يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث
لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اوخر دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في
رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فيكون هذه
الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه سال لامته اشيا من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر
بلغ لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظم السوال والرغبة جزاه الله احسن ما
جزى نبيا عن امته وصلى الله عليه وسلم كثيرا **فصل** في تفضيله في الجنة
بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن
عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراتي عليه قالا ثنا ابو علي الغساني
ثنا النمري ثنا ابن عبد المومن ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب

عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن
عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى
لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو
فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة
الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللولو قلت لجبريل ما هذا قال
هذا الكوثر الذي اعطاكه ربك قال ثم ضرب بيده الى الطينة فاستخرج مسكا
وعن عايشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماوه احلى
من العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض
ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا
قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة
من الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير وعن حذيفة فيما ذكر عليه
السلام عن ربه واعطاني الكوثر نهرا في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس
في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لولو ترابهن المسك وفيه
ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي من الازواج والخدم

فصل

فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثار واجماع الامة كونه اكرم
البشر وافضل الانبيا فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله
فيما حدثناه الاسدي قال نا السمرقندي نا الفارسي نا الجلودي نا ابن سفيان نا
مسلم نا ابن مثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول حدثني
ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما
ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة
قال يعني الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال
والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار قال يقول ذلك ورسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا
اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة من قال انا خير من يونس بن

ابن متى

ابن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه
الاخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابرهيم فاعلم ان للعلما في هذه الاحاديث
تاويلات احدها انه نهيه عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك
قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل
الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على وجه التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا
لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يودي الى تنقص بعضهم او
الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا
يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى
الفلك المشحون فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده اذ ذهب مغاضبا حطيطة
بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبيا فيها على حد واحد
لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف
واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زايدة عليها ولذلك منهم رسل
ومنهم اولوا العزم ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبور وبعضهم
البينات وبعضهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض قال بعض اهل العلم والتفضيل لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته
المراد
ومعجزاته ابهر واشهر او يكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واطهر وفضله
في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كراماته واختصاصه من كلام او خلة او روية او
ما شا الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع
الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفايه وحط من
رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا
الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القايل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ
من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس بن متى لاجل ما حكى الله عنه فان
درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردلة ولا ادنى وسنزيد
في القسم الثالث في هذا بيانا ان شا الله فقد بان لك الغرض وسقط ما حررته شبهة
المعترض

فصل

في اسمايه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته
حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه نا ابو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم بن

اصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر
وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه في كتابه احمد ومحمدا فمن
خصايصه الذي خصه الله تعالى بها ان ضمن اسماه ثناه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما
اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد وقال بعض اهل العلم قال الله تعالى كل الانبيا حامدون
وانت احمد واما محمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل
من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لوا الحمد يوم القيمة ليتم
له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما
وعده يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد ما قال صلى
الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب انبيايه بالحمادين فحقيق ان يسمى احمد
ومحمدا ثم في هذين الاسمين من خصايص عجايبه وبدايع اياته فن اخر هو ان الله تعالى حمى
ان يسمى بهما احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك
محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم
وميلاده ان نبيا يبعث من العرب اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناهم بذلك رجا ان
يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة الحلاج الاوسي ومحمد بن
مسلمة الانصاري ومحمد بن البرا البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي براء البكري
السلمي لا سابع لهم ويقال اول من سمي محمد ابن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم
حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في
امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما
زوي له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة
كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيات
من اتبعه وقوله انا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي اي على زماني وعهدي اي
ليس بعدي نبي كما قال تعالى ليكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى
قوله لي خمسة اسما قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة
والله اعلم وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم لي عشرة اسما وذكر منها طه ويس الله
يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره

لي عشرة
اسما

لي عشرة اسما فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة
ورسول الملاحم وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم
اروه وارى ان صوابه قثم بالثا كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد
وقع ايضا في كتب الانبيا قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد
الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه عليه السلام في القران عشرة اسما
محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي موسى الاشعري
انه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما فيقول انا محمد واحمد والمقفى
والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة وكل صحيح ان شا الله ومعنى
المقفى معنى العاقب واما نبي الرحمة والتوبة والملحمة والراحة فقد قال تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمومنين رءوف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة
مرحومة ووصفها بالرحمة وقال تعالى وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم
بعضا فبعثه ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل
امته مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها صلى الله عليه وسلم بالتراحم واثنى عليه فقال
ان الله يحب من عباده الرحما وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف
صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة
ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه عليه السلام انه قال اتاني ملك
فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته عليه
السلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته في القران عدة كثيرة
سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر
والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرءوف
والرحيم والامين وقدم صدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة
الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي
وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة
وكتب انبيايه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته
بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع

المنفح والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق
والهادي وسيد ولد ادم وسيد المرسلين وامام المتقين وقايد الغر المحجلين
وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود
وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج
واللوا والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة
والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين
ومن اسمايه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح
الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق
بين الحق والباطل ومن اسمايه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب
طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم
الذي ختم الانبيا والحاتم احسن الانبيا خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح
والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب
القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل
به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله
عليه وسلم وهو الان عند الخلفا واما الهراوة التي وصف بها وهي في اللغة
العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه
بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم يكن حينيذ الا للعرب والعمايم
تيجان العرب واوصافه والقابه واسمايه في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها
مقنع ان شا الله وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم وروي عن انس انه لما ولد
له صلى الله عليه وسلم ولده ابرهيم جاه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابرهيم

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه من اسمايه الحسنى ووصفه به من
صفاته العلى قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ما احرى هذا الفصل بفصول
هذا الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها
لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره
والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرايناان نضيفه اليه ونجمع به شمله
فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيايه بكرامة خلعها عليهم من اسمايه كتسميه
اسحق واسماعيل بعليم وحليم وابرهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى

ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر
واسمعيل بصادق الوعد كما جا في التنزيل من مواضع ذكرهم وفضل محمد نبينا
صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيايه بعدة كثيرة
اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق
اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلثين
اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره
لنا الان ويفتح غلقه فمن اسمايه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه
وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي
صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود
واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
ومن اسمايه تعالى الروف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال
بالمومنين روف رحيم ومن اسمايه الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق
امره وكذلك المبين اي البين امره والاهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى
المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه
فقال حتى جاهم الحق ورسول مبين وقال اني انا النذير المبين وقال قد جاكم
الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاهم قيل محمد وقيل القران ومعناه هنا
ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول والمبين البين امره
ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن
اسمايه تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه او منور السموات والارض
بالانوار ومنور قلوب المومنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاكم من الله نور
وكتاب مبين قيل محمد وقيل القران وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح
امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المومنين والعارفين بما جا به ومن اسمايه تعالى الشهيد
ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا فقال
انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمايه
تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي
في اسمايه تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد

وقيل جبريل وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد ادم ومعاني الاسم صحيحة في حقه صلى
الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى العظيم معناه الجليل الشان الذي كل شي دونه
وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التورية
عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى
الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر
وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك
فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم
خطره ونفى عنه تعالى في القران جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت
عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشي العالم بحقيقته
وقيل معناه المخبر وقال تعالى فاسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلا المامور
بالسوال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم
وقال غيره بل السايل النبي والمسئول الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه
عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما
اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح
ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصايرهم
لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح اي
ان تستنصروا فقد جاكم النصر وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر وسمى الله
تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسرا الطويل من رواية
الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى
وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنايه على ربه
وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى
الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان
بالله والناصر للحق او المبتدي بهداية الامة او المبدا المقدم في الانبيا والخاتم
لهم كما قال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث ومن
اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني
على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلم فقال انه كان عبدا شكورا

وقد

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا
اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك
لقوله لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة
ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشيا قبل
وجودها والباقي بعد فنايها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال عليه السلام
كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون السابقون وقوله انا اول من
تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم
النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة
المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش
مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث الماثور
وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام بالصادق المصدوق ومن اسمائه
تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال
صلى الله عليه وسلم انا ولي كل مومن ومومنة وقال تعالى النبي اولى بالمومنين
وقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو
ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه في القران والتوراة وامره بالعفو
فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد ساله عن قوله خذ العفو
قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث المشهور في
صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو
بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعا قال الله تعالى والله يدعو
الى دار السلام ويهدي من يشا الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقدم
وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى وانك
لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى
الاول قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا وبمعنى الدلالة

ينطلق على غيره تعالى ومن اسمايه تعالى المومن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى
المومن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده
المومنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل الامن عباده في الدنيا من ظلمه والمومنين
في الاخره من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزه هاء وقد
قيل ان قولهم في الدعا امين انه اسم من اسما الله تعالى ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن وقد سماه
الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين مشهور ذلك قبل النبوه
وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله

ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف عليا تحتها النطق

قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القسم القشيري وقال تعالى يومن
بالله ويومن للمومنين ورحمة للذين امنوا اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى
المومن ومن اسمايه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدث
وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس
ووقع في كتب الانبيا في اسمايه عليه السلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه
عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر
من الاخلاق الذميمه والاوصاف الدنيه ومن اسمايه تعالى العزيز ومعناه
الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله
اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة
فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه
تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن
اسمايه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا
انهما من اسما محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم **فصل** قال القاضي ابو
الفضل وفقه الله تعالى ها انا اذكر نكته اذيل بها هذا الفصل واختم بها
هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله
جل اسمه في عظمته وكبريايه وملكوته وحسنى اسمايه وعلى صفاته لا يشبهه

شيا

شيا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جا مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق وكما ان
ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا
تنفك عن الاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمايه وكفى في هذا
قوله ليس كمثله شي ولله در من قال من العلما العارفين المحققين التوحيد اثبات
ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكته الواسطي
رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل
ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان
يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة ذات قديمه وهذا كله
مذهب اهل الحق والسنه والجماعه رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري
رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكايه تشتمل على جوامع مسايل التوحيد
وكيف يشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنيه وكيف يشبه
فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد
ولا بمباشره ومعالجه ظهر وفعل الخلق لا يخلو عن هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا
ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو
المعالي الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان الى النفي المحض
فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن
قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا علاج
وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه
وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير لقوله ليس كمثله شي والثاني
تفسير لقوله لا يسال عما يفعل وهم يسالون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشي اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه
وجنبنا طرفي الضلالة والغوايه من التعطيل والتشبيه بمنه وكرمه

الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه من المعجزات

وشرفه به من الخصايص والكرامات قال القاضي ابو الفضل حسب المتامل ان يحقق
ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته
فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر

شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده بل اللفتاه
لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم
وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير
اياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واثبتنا منها المحقق والصحيح الاسناد واكثره مما
بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الايمة واذا تامل المتامل
المنصف فيما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه
وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق
دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به حدثنا عن الترمذي وابن قانع
وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله ابن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة جيته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب
حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
ابن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا
محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى ابن سعيد عن
عوف ابن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة ابن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث
وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فلما رايته قلت هذا نبي
الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد
لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء
فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال
له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شي
تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه
وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة
لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجا رجل بتمر
فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى
تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعو الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا
يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شي الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر

ويغلب

ويغلب فلا يفجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله
تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة

لو لم يكن فيه ايات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر

فصل

وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القران وما فيه
من برهان ودلالة **اعلم** ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب
عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شا
كما حكي عن سنته في بعض الانبيا وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه
وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبيا او من جنسهم كالانبياء
مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل
على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قائم
مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله
وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في
مصنفات ايمتنا رحمهم الله والنبوءة في لغة من همز ماخوذ من النبا وهو الخبر وقد لا
يهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه
فيكون نبي منبا فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من
الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان
في حقه موتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة
الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع
ومنه قولهم جا الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ
او الزمت الامة اتباعه واختلف العلما هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما
سوى واصله من الانبا وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معنى الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا
الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع
على الغيب والاعلام بخواص النبوة والرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا
في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها

التقريب بين الاسمين ولو كانا شيا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا
والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان
الرسول من جا بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار
والصحيح الذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسول واول الرسل
ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر عنه ان الانبيا مايه الف واربعه
وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثماية وثلثة عشر اولهم ادم فقد بان لك معنى
النبوه والرساله وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية
في تطويلهم وتهويلهم الذي ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى
ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى
النبي صلى الله عليه وسلم وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد الكاتب ووحي الحاجب
واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا العجل العجل اي السرعة وقيل
اصل الوحي السر والاخفا ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قولهم وان الشياطين
ليوحون الى اوليايهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى
اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
اي ما يلقيه في قلبه دون واسطه **فصل** اعلم ان تسميتنا ما جات
به الانبيا معجزه هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو
من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه
كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم ونحوه
وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحيا الموتى وقلب
العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الما من الاصابع وا
نشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى
وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد
نبينا صلى الله عليه وسلم ودلايل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو
اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا
تحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران لا يحصى عجايبه ولا عدد معجزاته
بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه

بابهرهم

فعجز

فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية منه
او ايات منه بعددها وقدرها معجزه ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله
فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها
علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف بمجي النبي به وظهوره من
قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد
صلى الله عليه وسلم في الدنيا وانما جا اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه
وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا
كما سنشرحه قال بعض ايمتنا ويجري هذا المجرى على الجمله انه قد جرى على يديه
صلى الله عليه وسلم ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها القطع فيبلغه
جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مومن ولا كافر انه جرت على
يديه عجايب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله
صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها
كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار
الوارده عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان
كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ الضروره
والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند
المحدثين والرواه ونقلة اهل السير والاخبار كنبع الما من بين الاصابع وتكثير
الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر
اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز
كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات
الماثوره عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالنص
اخبر بوجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجا برفع احتماله صحيح الاخبار من
طرق كثيره فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين فلا يلتفت الى سخافة
مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفا المومنين بل يرغم بهذا انفه وينبذ بالعرا
سخفه وكذلك قصة نبع الما وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير
عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابه ومنها ما رواه الكافة عن الكافه
متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابه واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع

الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من
محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يوثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا
انكار عما ذكر عنهم انهم رواه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم
المنزهون عن السكوت على باطل المداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة
تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم
على بعض اشيا رووها من السنن والسير وحروف القران وخطا بعضهم بعضا ووهمه
في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلتحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه
وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وتنبت على باطل لا بد مع مرور الازمان
وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير
من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية واعلام نبينا هذه الواردة من طريق الاحاد
لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا مع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه
على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفا نورها الا قوة وقبولا وللطاعن
عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباوه بما يكون وكان معلوم
من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطا عليه وقد قال به من ايمتنا القاضي
والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهما الله وما عندي اوجب قول القايل ان هذه القصص
المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعة للاخبار وروايتها وشغله بغير
ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب
في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل عند
اخر ان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجوده وانها مدينة عظيمة
ودار الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا
يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراة ام
القران في الصلاة للمنفرد والامام واجزا النية في اول ليلة من شهر رمضان عما سواه
وان الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس
وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط
الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسايل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم
ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا احاد هذه
المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شا الله تعالى فصل في اعجاز
القران

القران العزيز اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من
الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه
والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة لعادة العرب وذلك
انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما
لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يوت انسان ومن فصل
الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة ياتون
منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد
الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فياتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون
من اوصافهم اجمل من سمط اللال فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون
الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون اللسان ويصيرون
(في الهامش: يد الجعد البنان)
الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول
الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو
البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل
والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين
لهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج
لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا
عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في
الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا
في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته
العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت
حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه
وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه
وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر
في السجع والشعر سجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها
يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا

لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملا اجمعين ۝ ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ۝ وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فاتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا ۝ وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ۝ وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك
ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا اتبع
المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد
والاول على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم
اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ۝ ويسفه احلامهم ۝ ويحط اعلامهم ويشتت
نظامهم ويذم الهتهم واباهم ۝ ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل
هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب
بالتكذيب والاغترا بالافترا وقولهم ان هذا الا سحر مبين وسحر يوثر
وسحر مستمر ۝ وقد افتريه واساطير الاولين ۝ والمباهته والرضى بالدنيه
كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب ۝ ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعا مع العجز بقولهم
لو نشا لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى
ذلك من سخفايهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم
والا فلم يخف على اهل قبيلة الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا
عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع المغيرة من النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة وان
عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد
ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تومر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر
رجلا يقرا فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا
الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نايما في المسجد فاذا هو بقايم على راسه
يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب
وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرا اية من القران فتاملها فاذا هي قد جمع
فيها ما انزل على عيسى ابن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفايزون وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها

قاتلك

قاتلك الله ما افصحك فقالت او تعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا النوع من اعجازه
منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القران من قبل
النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة
وعجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة
للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها
عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص
حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي
هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا
سماء اقلعي وقوله فكلا اخذنا بذنبه واشباهها من الاي بل اكثر القران حققت
ما تبينه من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها
وتلاوم كلمها فان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت
الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في
سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي تضعف في عادة الفصحاء
عندها الكلام ويذهب ما البيان انه لمتامله من ربط الكلام بعضه ببعض والتيام
سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت
العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها

فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب
المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليها ووقفت مقاطع
اية وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد
مماثلة شي منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في
جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر فلما سمع كلامه صلى الله عليه
وسلم الوليد ابن المغيرة وقرا عليه القران رق فجا ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم
احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيا من هذا وفي خبره الاخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا
يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته

ولا بسحره قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر
قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه
ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده
قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب
القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين الاب وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه
والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى
في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعه حين سمع القران
يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيا الا وقد علمته وقراته وقلته والله لقد سمعت
قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانه وقال
النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله
ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثنا عشر شاعرا في الجاهليه انا احدهم
وانه انطلق الى مكه وجا الى ابي ذر بخبر النبي قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر
كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنه فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقرا الشعر
فلم يلتئم ولم يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون
والاخبار في هذا صحيحة كثيره والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغه
بذاتها او الاسلوب الغريب وان كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر
العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها
وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ايمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم
الى ان الاعجاز في مجموع البلاغه والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع
وتنفر منه القلوب والصحيح ما قلناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن
تفنن في علوم البلاغه وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعه لم يخف عليه ما
قلناه وقد اختلف ايمه اهل السنه في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما
جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه
لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعه عن اقدار الخلق
عليها كاحيا الموتى وقلب العصى وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه
مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا
يكون فمنعهم الله هذا واعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين عجز

الله

العرب عنه ثابت واقامة الحجه عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان
ياتوا بمثله قاطع وهذا ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجي بشر مثلهم بشي
ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر ايه واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك
بمقال بل صبروا على الجلا والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا
من شموخ الانف واباءة الضيم بحيث لا يوثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا
اضطرارا والا فالمعارضه لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع
بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوه في
المعرفه به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفا ظهوره
واطفا نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين
مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا
ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه

فصل

الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد
وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين وقوله وهم
من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الايه وقوله اذا جا نصر الله والفتح
الى اخرها وكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس
في الاسلام افواجا فما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها
موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المومنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم
اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه
من الملحدة والمعطله لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا
على خمسماية عام فما قدروا على اطفا شي من نوره ولا تغيير كلمه من كلامه ولا تشكيك
المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم الايه وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى
الايه وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الايه فكان كل ذلك وما فيه من
كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله

ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الايه
وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
الى قوله في الدين وقد قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطايفتين الايه ومنه قوله تعالى
انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان
الله كفاه اياهم وكان المستهزئون نفرا بمكه ينفرون الناس عنه ويوذونه
فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان ذلك على كثرة من رام ضره وقصد
قتله والاخبار بذلك صحيحة معروفه **فصل** الوجه الرابع ما انبا به
من اخبار القرون السالفه والامم البايده والشرايع الداثره مما كان لا يعلم
منه القصه الواحده الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم
ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه وياتي به على نصه فيعترف العالم
بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي
لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله
احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه صلى الله عليه وسلم عن هذا
فينزل عليه من القران ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبيا مع قومهم وخبر
موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه
واشباه ذلك من الانبا وبدا الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف
ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلما بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها
بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد
ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم
على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه
مصاحفهم وكثرة سوالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيتهم عن اخبار انبيائهم اياه صح
واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم
ومضمنات كتبهم مثل سوالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى
وحكم الرجم وما حرم اسرايل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت
احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير
ذلك من امورهم التي نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر
ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده
اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة

وادعى

وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفه دعا الى اقامة حجته وكشف دعوته
فقيل له فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ
ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من
كتابه يده ولم يوثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا
سقيما من صحفه قال الله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الايتين **فصل** هذه الوجوه
الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه
من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة خالصه عند الله صح
الايه قال ابو اسحاق الزجاج في هذه الايه اعظم حجه واظهر دلالة على الرسالة
وصحتها لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد
منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص
بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله
وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن
الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب
امرهم انه لا يوجد منهم جماعه ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا
يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة
من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله اية
المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الايه فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزيه وذلك
ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم
ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان
لم تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الايه ادخل في باب الاخبار عن
الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها **فصل** ومنها الروعة
التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند
تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم ان القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المومن

فلا يزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته وتوليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وقال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ويدل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت فقال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم بها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر يحكى في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون إلى قوله المسيطرون كاد قلبي أن يطير وفي رواية ذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك وحكي أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي فرجع ومحا ما عمله وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من أفصح أهل وقته وكان ابن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه حكي أنه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة

فصل ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة بالأعصار كلها طافحة بأهل

البيان

البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيده والنكوص على عقبيه

فصل وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها أن قارئه وسامعه لا يمله بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه ولا تفنى عبره هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل وقال عليه السلام إن الله أنزل القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما يكون بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب

ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الأولين والآخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه من الدليل والمدلول وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنثور وأوعى للقلوب وأسمع في الآذان وأحلى على الأفهام فالناس إليه أميل والأهواء إليه أسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرناه أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها أكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب أن تعد فنا منفردا في إعجازه إلا في باب

[illegible]

تفصيل

تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أخبر تعالى بوقوع انشقاق القمر بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عنه وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه ثنا القاضي سراج بن عبد الله ثنا الأصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الأعمش وعن مجاهد رواه أيضا عن ابن مسعود الأسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرقتي القمر ورواه عنه مسروق أنه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم إن محمدا إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك صح وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه قال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا فقالت الكفار هذا سحر مستمر ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء أربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية أبي حذيفة انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن أنس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة والآية مصرحة فلا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوا تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد

الازد

عن

لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على قوم وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلتهم
من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض
البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس في الليل الهدو
والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السما شيئا الا من
رصد ذلك واهتم به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم
حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر
في الاحيان بالليل في السما ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث
عن اسما بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في
حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان
في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها
طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهبا في خيبر قال
وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان
يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن علم حديث اسما لانه من علامات النبوة
وروى يونس بن بكير في المغازي في زيادته عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعا
فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم

وتكثيره ببركته اما الاحاديث
في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة
منهم انس وجابر وابن مسعود حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي
عليه حدثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو عمر بن الفخار ثنا ابو عيسى
يحيى ثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضو فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوضو فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضوا
منه من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال فيه ما يغمر اصابعه ولا يكاد يغمر

قال

قال كم كنتم قال زها ثلاث مائة وفي رواية عنه وهم بالزورا عند السوق ورواه ايضا
حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن
ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من
رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ما فاتي بما فصبه
في انا ثم وضع كفه فيه فجعل الما ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا
ما الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الما يفور من
بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا
كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية
الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال يا جابر ناد الوضو وذكر الحديث بطوله
وانه لم يجد الا قطرة في عزلا شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم
بشي لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر
ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه فصب جابر عليه
وقال بسم الله فرايت الما يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى
امتلات وامر الناس بالاستقا فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملا وعن الشعبي ان النبي
صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اتي باداوة ما وقيل ما معنا ما يا رسول الله غيرها
فسكبها في ركوة ووضع اصبعه في وسطها وغمسها في الما وجعل الناس يجيون
ويتوضون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل
هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم
كانوا اسرع شي الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك فلانهم كانوا ممن لا
يسكت على باطل فهاولا قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم
ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق
جميعهم له

فصل

ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم انبعاث
الما ببركته ما رواه مالك في الموطا عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا

العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء
ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى
الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال
يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة
ابن الاكوع وحديثه اتم في القصة بالحديبية وهم اربع عشرة مائة وبيرها لا تروي خمسين
شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال
البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا قال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا
انفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية
فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر البير وليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن
وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض
اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فاها والله اعلم نفث فيها ام لا فشرب
الناس حتى رووا وملوا كل اناء كان معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين
رجلا وروي مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره
اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم مددا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل
الامرا وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم
انهم يفتقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلاث مائة وفي
كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحو
من هذا حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش
في بعض اسفاره فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير
عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء
من مزادتيها وقال فيها ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما
وامر الناس فملؤوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤوه قال عمران وتخيل الي انهما لم
يزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم نأخذ
من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال نبي الله صلى
الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضانا
كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر
ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب

ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى جادت السماء
فانسكبت فملؤوا ما معهم من انيه ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب
قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل
النبي صلى الله عليه وسلم فضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث
في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه

فصل

ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن
بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه
فاطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل ياكل منه وامراته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي صلى
الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي
طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من
شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا
لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في
العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وحديث
ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء
ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين رجلا من اشراف الانصار
فدعاهم فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو
ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتي
النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم
قوم ويقعد قوم ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام
وصنعت شاة فشوي سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون
وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن
ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب
فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا
ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع
من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما

بني في الجيش وعا الاملوه وبقي منه وعن ابي هريرة امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا
ما شينا وفرغنا وهي مثلها وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم يأكلون الجذعة
ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس
فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب وقال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى
بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلا البيت والحجرة وقدم
اليه تور فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل
القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحو ما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين
وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلثمائة وانهم اكلوا حتى
شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث
جعفر بن محمد عن ابيه عن علي ان فاطمة طبخت قدرا لغدائها ووجهت عليا الى النبي صلى
الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها النبي صلى الله عليه وسلم فغرفت منها صحفة صحفة
لجميع نسائه ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتغط قالت
فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال يا رسول
الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر
وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن
الخبر بعينه الا انه قال اربع مائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين
ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرما ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين
كفاية دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امر بجذها وجعلها بيادر في
اصولها فمشى فيها ودعا فوفى منه جابر غرما ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون
كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرما يهود فتعجبوا من ذلك
وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل من شي من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا
بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش
كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر
مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان رضي الله عنه

فانتهب

فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومن ذلك
حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد قدح
لبن قد اهدي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فامرني ان ادعو اهل الصفة
قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم
وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم ان اسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى
يروى ثم ياخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح
وقال اجلس بقيت انا وانت اشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها اشرب
حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال
خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل
من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا
وافضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث اخر في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح
جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون
منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبارك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن
من غشيكن وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم
حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ضعه وادع فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر
انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال
ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت
كانت اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع
على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين
ثم لا يعد بعضهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث
عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر

فصل في كلام
الشجر وشهادتها بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون

الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القسم
البغوي نا احمد بن عمران الاخنسي نا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين
تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي
بشاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت
انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال
له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها
فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها ترجع الى منبتها
فرجعت فدلت عروقها في اماكنها فاستوت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا
ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فاذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي
الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقضي حاجته فلم ير شيا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطي الوادي فانطلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله
فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قايده وذكر انه فعل بالاخرى مثل
ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التيما علي باذن الله فالتامتا وفي رواية اخرى
فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك
حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت
احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله مقبلا والشجرتان قد افترقتا
فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات
متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه
بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن
فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى عدن
الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا

من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة
الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين
وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت
به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم
علي وفي حديث عبد الله بن مسعود اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة
استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من
يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر
مثل الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر
وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس
وغيرهم رضي الله عنهم قد اتفقوا على هذه القصة بنفسها او معناها ورواها عنهم
من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى
الله عليه وسلم سار في غزوة الطايف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت
له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة
ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه حزينا اتحب
ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي
فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت
الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارني اية لا ابالي من
كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم وطلبه الاية لهم
لا له وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الاية
في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن
الحسن انه صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وساله اية
يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع
غصنا منها ياتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه
فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو
منه عن عمر وقال فيه ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس
انه صلى الله عليه وسلم قال للاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد

الى رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه
الترمذي وقال حديث صحيح

فصل في قصة حنين الجذع

ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر
به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب
وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد
وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى
هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقفا
على جذوع نخل وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما
صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى ارتج
المسجد بخواره وفي رواية سهل وكثر بكا الناس لما راوا به وفي رواية المطلب حتى
تصدع وانشق حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكا لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي
نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فامر به فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق
عن انس وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما
هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني
ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاه يخرق الارض فالتزمه ثم امره
فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك
الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت
اغرسك في الجنة فياكل اوليا الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يسمع ما
يقول فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اوليا الله واكون في مكان لا ابلى فيه
فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقا على
دار الفنا فكان الحسن اذا حدث بهذا بكا وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا اليه والى لقايه
رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن
المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت
واسحاق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك

عن

عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن
وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وعن دون هذا العدد يقع العلم
لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب

فصل

ومثل هذا في
ساير الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط
ثنا المهلب ثنا ابو القسم ثنا ابو الحسن القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى
ثنا ابو احمد الزبيري ثنا اسرايل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم
كفا من حصا فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن
في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في كف
عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها
فما استقبله حجر ولا شجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعرف بمكة حجرا كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود
وعن عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت
لا امر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى بنيه بملاة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاته فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت
امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه
جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس
صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد
فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة في حرا وزاد معه وعلي
وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر ايضا في حرا عن عثمان
قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي
حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي
انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري
فيعذبني الله فقال حرا الي يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم

فوا على المنبر وما قدروا الله حق قدره قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار
انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان
حول البيت ثلاثماية وستون صنما مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها
ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه
الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها
ويقول جاء الحق وزهق الباطل وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه
مع الراهب في ابتدا امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج
وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين
يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك فقال انه لم يبق حجر ولا شجر
الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال فاقبل صلى الله عليه وسلم
وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفي
اليه **فصل** في الايات في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن
عبد الملك حدثنا ابو الحسين الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي يونس ثنا ابو الفضل الصقلي
ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا ابو العلا احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل
ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عايشة قالت عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله داجن
صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجي ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم جا وذهب وروي عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل
من اصحابه اذ جا اعرابي قد صاد ضبا فقال ما هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى
لا امنت بك او يومن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك
يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السما عرشه وفي الارض سلطانه وفي
البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين
وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك
قصة كلام الذيب المشهورة عن ابي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض
الذيب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذيب فقال للراعي الا تتقي الله
حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس فقال

فقال الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس
بانبا ما قد سبق فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروي حديث الذيب
عن ابي هريرة فقال الذيب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله
نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه
ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي
من لي بغنمي قال الذيب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر
قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له ارجع الى غنمك
تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها وعن اهبان بن اوس انه
كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذيب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع
انه كان صاحب القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى
ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذيب
فقال الذيب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه
الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لين ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا
وقد روي مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب
من كلام ضماد صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا
طاير سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضماد ولا تعجب من نفسك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكانت سبب اسلامه وعن جابر
ابن عبد الله ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر
وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيودي
عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة الى حتى دخلت الى اهلها
وعن انس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايطا انصاري وابو بكر وعمر ورجل من
الانصار وفي الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود منها الحديث
وعن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايطا فجا بعير فسجد له وذكر
مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن
جعفر قال وكان لا يدخل احد الحايط الا شد الجمل عليه فلما دخل النبي صلى الله
عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السما
والارض شي الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن

الى ادنى وفي خبر اخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم عن شانه
فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكا
كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه
في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضبا وكلامها النبي صلى الله
عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحش
عنها وندايهم انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته صلى الله عليه وسلم حتى
ماتت ذكره الاسفرايني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه
وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة
ابن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي
صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث اخر ان العنكبوت
نسجت على بابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن
عبد الله بن قرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او
سبع لينحرهن يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدا وعن ام سلمة كان النبي
صلى الله عليه وسلم في صحرا فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الاعرابي ولي خشفان في هذا الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع
قال وتفعلي قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا
رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحرا
وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من
تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن
فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم
وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة
تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ صلى الله عليه وسلم باذن شاة
لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي
نسلها بعدها وما روي عن ابرهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه
بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه
كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ليستدعيهم وان النبي
صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بير جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة

التي

التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم العطش ونزلوا على غير ما وهم زها
ثلثمايه فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها
فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي
جا بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وقد قام الى
الصلاة لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى
صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما روى الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه
رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم
الذي بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جينا منه بالمشهور من ذلك وما وقع
منه في كتب الايمة **فصل** في احيا الموتى وكلام الصبيان والمراضع
وشهادتهم له بالنبوة حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي
ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا
قالوا نا ابو علي الحافظ نا ابو عمر الحافظ نا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى نا احمد بن سعيد
ابن الاعرابي نا ابو داود نا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن
ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت الى النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية
سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم
فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البرا وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت
ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت
وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على
ذلك فقالوا انقتلها قال لا وكذلك عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض
لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وكذلك
ذكره ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها
في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالان اوان
انقطاع ابهري وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل
الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف

الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر
مثله الا انه قال في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله
فلم يضر منا احد قال القاضي ابو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة
اهل الصحيح وخرجه الايمة وهو حديث مشهور واختلف ايمة النظر في هذا
الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف
واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها
وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله واخرون ذهبوا الى ايجاد
الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة
لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في
احالة وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح
منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال
ان الله يخلق فيها حياة ويخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان
لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية
شيا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والموفق الله
وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم
يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب رايت من
النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونه اسم راويه وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك
اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي صلى الله
عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها
يا فلانة باسمها اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان
ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما فقالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله
خيرا لي منهما وعن انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه
وعزيناها فقالت ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى
نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحمل علي هذه المصيبة فما برحنا ان
كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبيد الله بن عبد الله

الانصاري

الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين
ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم
فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض
ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول
انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين
كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان
ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان
فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف
فيما اجازنيه وقراته على غيره قال نا ابو اسحاق الحبال قال نا ابو محمد بن النحاس قال نا ابن
الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق قال نا ابن شهاب وعاصم
ابن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة احد بطولها قال وقالوا ان سعد بن ابي
وقاص قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به
وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوميذ عن قوسه حتى اندقت واصيب
يوميذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصته قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد
بن عياض بن عمرو بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق صلى الله عليه وسلم
على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي
عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال انطلق فتوضا
ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه
بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره
وروي ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقا فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان
قد هزي به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب
ابن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيا فنفث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين وروي
ان كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق عليه فبرى وتفل على شجة عبد الله بن انيس
فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فبرا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم
خيبر فبرات وعلى رجل زيد بن معاذ حين قتل كعب بن الاشرف فبرات وعلى ساق علي بن الحكم

اصابها السيف الى الكعب حين

يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى
ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفرا فجا يحمل يده فبصق عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فالتصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا
ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه
حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امراة
من خثعم معها صبي به بلا لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه
وامرها ان تسقيه فسقته فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل به عقول الناس وعن ابن
عباس جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فثع ثعة
فشفي وانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له فبرا
لساعته وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان
الدابة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يمسحها بكفه الكريم حتى لم
يبق لها اثر وسالته جارية طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة
الحيا فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسال شيا
يمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد
حيا منها **فصل** في اجابة دعائه وهذا باب واسع جدا واجابة
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم
ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا
لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراءتي عليه
نا ابو القسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف
نا محمد بن اسمعيل نا عبد الله بن ابي الاسود نا حرمي نا شعبة عن قتادة عن انس قال
قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك
وبارك له فيما اتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي
وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد
ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت
ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس
حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف

وقيل ابن صولحت

٣٥

وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين
الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق
مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شي فتصدق بها وبما عليها
وباقتابها واحلاسها ودعا لمعوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص
ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل
فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس
في بعض مغازيه عطش فساله عمر الدعا فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت
ودعا في الاستسقا فسقوا ثم شكوا اليه المطر فصحوا وقال لابي قتادة افلح وجهك اللهم
بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة كانه ابن خمسة عشر سنة وقال
للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا
اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر ودعا
لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان القران ودعا
لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيا الا ربح فيه ودعا
للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن ابي
الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا
وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل
هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاء بها اعصار ريح فردها عليه ودعا لام
ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتا ثياب الصيف
وفي الصيف ثياب الشتا ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته اللهم لا يجيعها
قالت فما جعت بعد وساله الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له فسطع
نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضي
في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته
قريش ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق ملكه فلم يبق له باقية
ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة
ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع
فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه
كلبا من كلابك فاكله الاسد وحديثه مشهور من رواية عبد الله بن مسعود

في دعايه على قريش حين وضعوا السلا عليه وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال
فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم ابن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز
عند النبي صلى الله عليه وسلم اي لامراة فقال كذلك فكن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا
على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه بين
صدين ورضموا عليه بالحجارة الصدحانب الوادي وجحد رجل بيع فرس وهي التي شهد
فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل
وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة
وهذا الباب اكثر من ان يحاط به

فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره

اخبرنا احمد بن محمد نا ابو ذر الهروي اجازة نا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا نا ابو الوليد القاضي نا ابو ذر نا ابو محمد وابو
اسحق وابو الهيثم نا الفربري نا البخاري نا عبد الاعلى بن زريع نا سعيد عن قتادة عن
انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي
طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره بطيا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان
بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع
مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا
وباع من بطنها باثني عشر الفا وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد
فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت
جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها
للمرضى يستشفى بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على
ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وحدثنا
القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المامون قال كانت عندنا قصعة من قصاع
النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ
من فضل وضوئه في بئر قبا فما نزحت بعد وبزق في بئر كانت في دار انس فلم يكن
بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل اسمه بيسان وماؤه
ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج
فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان
عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا

فامرها

فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها
بنوها يسالونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى
عصرتها وكان صلى الله عليه وسلم يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه
الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلثمائة
ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله عليه وسلم
وغرسها له بيده الا واحدة غرسها عمر فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة
من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما
اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من
سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت
وبردها اذا اضحيت واعطى قتادة بن النعمان وكان صلى معه العشاء في ليلة مظلمة
عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت
بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه شيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى
دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذلا من
حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما
طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد
في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش
يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنها بركته في
درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كشاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة
انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها
فحل وشاة المقداد ومنها تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما
حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا فيه لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة
ومنها مسحه راس عمير بن سعد وبارك عليه فبلغ الثمانين فما شاب وروي مثل
هذه القصص عن السايب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب
طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على بطنه وظهره وسلت الدم
عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس
ومنها مسحه صلى الله عليه وسلم على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فلما مات

وجد جميع شعر راسه ابيض الا موضع يده صلى الله عليه وسلم فوجد اسود وكان بلغ مايه
سنه وكان يدعى الاغر وروي مثل هذه القصه لعمرو بن ثعلبه الجهني ومسح وجه رجل اخر
فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتاده بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في
وجهه كما ينظر في المراه ومنها وضعه يده صلى الله عليه وسلم على راس
حنظله بن حذيم وبارك عليه وكان حنظله يوتى بالرجل قد ورم وجهه والشاه قد ورم
ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب
بنت ام سلمه نضحه من ماء فلم يكن يرى في وجه امراه من الجمال ما كان بوجهها ومسح على راس صبي
به عاهه فبرا واستوى شعره وعلى غير واحد من المرضى والمجانين فبروا واتاه رجل
به ادره فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرا وعن طاوس لم يوت النبي صلى الله عليه
باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس والجنون ومج في دلو من بير ثم صب فيها ففاح
منه ريح المسك واخذ قبضه من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار
وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون التراب عن اعينهم وشكا اليه ابو هريره النسيان
فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيا بعد وما يروى عنه في
هذا كثير

فصل

ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون من الاحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزه من جمله معجزاته
المعلومه على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثره رواتها واتفاق معانيها
على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازه
وقراته على غيره قال ابو بكر نا ابو علي التستري نا ابو عمر الهاشمي نا اللولوي نا ابو داود
نا عثمان بن ابي شيبه نا جرير عن الاعمش عن ابي وايل عن حذيفه قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعه
الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هولا وانه ليكون منه الشي
فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال
حذيفه ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قايد فتنه الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمايه فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه
واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يحرك طاير جناحيه في السما الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والايمه ما
اعلم الله به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدايه وفتح مكه وبيت

واليمن

واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراه من الحيره الى مكه لا تخاف الا الله
وان المدينه تغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا
ويوتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الاختلاف والاهوا
وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقه الناجيه واحده وانهم سيكون لهم انماط ويغدو
احدهم في حله ويروح في اخرى ويوضع بين يديه صحفه ويرفع اخرى ويسترون بيوتهم كما
يستر الكعبه ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يوميذ وانهم اذا مشوا المطيطا
وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم
الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب
قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وذهاب الامثل فالامثل
من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من
شر قد اقترب وانه زويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته
ما زوي له منها ولذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى
المشرق الى بحر طنجه حيث لا عماره وراه وذلك ما لم تملكه امه من الامم ولم تمتد في
الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على
الحق حتى تقوم الساعه ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي
بالغرب وهو الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في
الحديث بمعناه وفي حديث اخر من روايه ابي امامه لا تزال طايفه من امتي ظاهرين
على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم
قال ببيت المقدس واخبر بملك بني اميه وولايه معاويه ووصاه واتخاذ بني اميه
مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا
وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها
الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياه
الجنه ويدخل اعداه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبه وطايفه ممن ينسب
اليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرا المصحف وان الله عسى ان يلبسه
قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو
السميع العليم وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا ومحاربه الزبير لعلي ونباح كلاب
الحوب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت

على عايشه عند خروجها الى البصره وان عمارا تقتله الفيه الباغيه فقتله اصحاب
معويه وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد
ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعه فيهم ابو هريره وسمره بن جندب
وحذيفه اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسال عن بعض فكان سمره اخرهم موتا
هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال الخلافه في قريش ولن يزال هذا
الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فراوهما الحجاج والمختار
وان مسيلمه يعقره الله وان فاطمه اول اهله لحوقا به وانذر بالرده وان الخلافه
بعده ثلاثون سنه ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمده الحسن بن علي وقال ان هذا الامر بدا نبوه ورحمه
ثم يكون رحمه وخلافه ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامه
واخبر بشان اويس القرني وبامرا يوخرون الصلاه عن وقتها وسيكون في امته ثلاثون
كذابا فيهم اربع نسوه وفي حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا احدهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيكم
ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعه حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال
خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون
ويخونون ولا يوتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا ياتي زمان الا والذي بعده
شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمه من قريش وقال ابو هريره فيه والله لو شئت
لسميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدريه والرافضه وسب اخر هذه
الامه اولها وقله الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق
لهم جماعه وانكم ستلقون بعدي اثره واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي
فيهم وان سيماهم التحليق وترى رعاة الغنم رووس الناس والعراة الحفاة يتبارون
في البنيان وان تلد الامه ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم
واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصره وانهم
يغزون في البحر كالملوك على الاسره وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من فارس
وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينه وجدوا ذلك
وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريره فذهب القوم
يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامه واعلم بالذي غل خرزا من خرز
اليهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشمله والذي ضلت ناقته حيث ضلت وكيف تعلقت

تعلقت بالشجره بخطامها وبشان كتاب حاطب الى اهل مكه وبوصيه عمير مع صفوان
حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جا عمير مع صفوان حين ساره
صفوان يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم واطلع الله تعالى رسوله على ذلك اسلم
عمير واخبر بالمال الذي تركه عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه
غيري وغيرها فاسلم واعلم انه صلى الله عليه وسلم سيقتل ابي بن خلف واخبر عن
عتبه بن ابي لهب انه ياكله كلب الله واخبر عن مصارع اهل بدر فكان كما قال
وقال للحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فيتين وقال لسعد لعلك
تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويضر بك اخرون واخبر بقتل اهل موته يوم قتلوا وبينهم
شهر واخبر عن موت النجاشي يوم مات واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت
كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز ذلك اسلم واخبر ابا ذر بتطريده كما كان ووجده
نائما في المسجد الحرام فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا
اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه لحوقا به
اطولهن يدا فكانت زينب اطولهن يدا بالصدقه واخبر بقتل الحسين بالطف
واخرج بيده تربه وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه
الى الجنه فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حرا اثبت فانما عليك
نبي وصديق وشهيد فقتل عمر وعثمان وعلي وطلحه والزبير وطعن سعد رضي الله عنهم
وقال لسراقه كيف بك اذا البست سواري كسرى فلما اتي بهما الى عمر البسهما اياه
وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقه وقال تبنى مدينه بين دجله ودجيل
تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامه رجل
يقال له الوليد هو شر لهذه الامه من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعه حتى تقتتل
فيتان دعواهما واحده وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر وكان
كذلك قام بمكه مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته
وثبتهم وقوى بصايرهم وقال لخالد حين وجهه الى اكيدر دومه انك تجده يصيد
البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد وفاته كما قال صلى الله عليه وسلم
الى ما اخبر به جلساه من اسرارهم وبواطنهم وما اطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم
وقولهم فيه وفي المومنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده

[illegible]

من تخبره لاخبرته الحجارة بالبطحا، واخبر بالسحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بير ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة، واخباره قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال، واخباره قريشا عن بيت المقدس حين سالوه عن صفته واعلامهم بالعير ووقت وصولها فكان كله كما قال، الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تات بعد ومقدماتها ولا ظهرت كاخباره عن عمران بيت المقدس وخراب يثرب وخروج الملحمة وفتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة واياتها وحلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة

فصل في عصمة الله له من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي قراءة عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا نا ابو الحسين الصيرفي قال نا ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي نا ابو العباس المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا عبد بن حميد نا مسلم بن ابراهيم نا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله ابن شقيق عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي واخترط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحرث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضا حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه صلى الله عليه وسلم وقع له مثلها في غزاة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل

دفع

دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحرث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وانه فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى على ظهره ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطاها كثيبا اهيلا وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى حاجته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجينا حتى اذا رايناه جات الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجينا منزله فسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على روسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على روسهم وخلص منهم وحمايته عن رويتهم في الغار بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية ابن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعايل وانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا

حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها
واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت فقال للنبي صلى الله عليه وسلم أُتينا فقال لا تحزن ان الله
معنا فساخت ثانية الى ركبتيها فخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر
واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول
للناس كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه
ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم
قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأُنسي ما خرج له حتى رجع الى
موضعه وقال ابن اسحق جاء ابو جهل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصخرة وهو
ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل
يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد
مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر انه عرض لي دونه
فحل ما رأيت مثله قط هم بي ان يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو
دنا مني لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم
ليقتله فطمس الله على بصره فلم يره وسمع قوله فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه
وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين ومن ذلك ما
ذكره ابن اسحاق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض
آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم
فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج
الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن امية فقال له حيي بن
اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه
وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ان ذلك سبب
نزول الآية وحدث ابو هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطانه
فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فجاء فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه

فسيلا

فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت
هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو دنا مني
لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى
الى اخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا
واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض
الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وعن فضالة بن عمرو اردت قتل النبي
صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة
قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع
يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه
ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل وجه محمد عنك واضربه انت
فلم يره يفعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك
بيني وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة
انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى
حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه السلام

فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه
به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين
دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل
والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي
سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة
بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل
فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما
كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة
بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص
بجوامع الكلم الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب

التفهم الغامض والكشف المشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تجادل
مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شي يستحسن مفضل لم ينكر
ملحد ذو عقل سليم شيا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهليه اذا
سمع ما يدعوا اليه صوبه واستحسنه دون اقامه برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات
وحرم عليهم من الخبايث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا
والتخويف بالنار اجلا الى الاحتوا على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة
والفرايض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه
صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرويا لاول عابر وهي
على رجل طاير وقوله الرويا ثلث رويا حق ورويا يحدث بها الرجل نفسه ورويا تخويف
من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رويا المومن تكذب وقوله اصل
كل داء البرد وما روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريره المعده حوض البدن
والعروق اليها وارده وان كان هذا حديثا لا نحتج به لضعفه وكونه موضوعا تكلم
الدارقطني عليه وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامه والمشي وخير
الحجامه يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة
اشفيه وقوله ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام
وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سال عن سبا ارجل هو ام امراه ام
ارض فقال رجل ولد عشره تيامن منهم سته وتشام اربعه الحديث بطوله فكذلك جوابه
في نسب قضاعه وغير ذلك مما اضطرب العرب على شغلها بالنسب الى سواله عما اختلفوا
فيه من ذلك وقوله حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها
وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله
السموات والارض وقوله في الحوض زواياه سوا وقوله في حديث الذكر الحسنة
بعشر فتلك مايه وخمسون على اللسان والف وخمسمايه في الميزان وقوله وهو بموضع نعم
موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبله وقوله لعيينة او للاقرع
انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للمملي هذا مع
انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شي حتى قد وردت اثار
بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه
ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الاخر الذي يروى عن

معويه انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواه وحرف القلم
واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم
يصح انه كتب فلا يبعد ان يرزق علم ذلك ويمنع الكتابه والقراة واما علمه صلى الله
عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول
الكتاب وكذلك حفظه الكثير من لغات الامم كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث سنه سنه
وهي حسنه بالحبشيه وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث
ابي هريره اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسيه الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا
ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدروس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره
وهو رجل كما قال الله امي لا يكتب ولا يقرا ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشا بين
قوم لهم علم ولا قرا لشي من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشي منها قال تعالى وما كنت تتلوا
من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون انما كانت غاية معارف العرب
النسب واخبار اوايلها والشعر والبيان وانما يحصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال
بطلبه ومباحثه اهله عنه وهذا الفن نقطه من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل
الى جحد الملحد لشي مما ذكرناه ولا وجد الكفره حيله في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير
الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان
عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد
الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجره ونزول الكثير من القران وظهور ما لا ينعد من الايات
واما الرومي فكان اسلم وكان يقرا على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل
بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم
الفصحا اللد والخطبا اللسن قد عجزوا عن معارضته وما اتى به وعن الاتيان بمثله بل عن
فهم وصفه وصوره تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي
او يعيش او جبرا او يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي
عن احد منهم شي من مثل ما كان يجي به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة
شي من ذلك وما منع العدو حينيذ على كثره عدده ودووب طلبه وقوه حسده ان يجلس
الى هذا فياخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن
الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا
كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في

صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج من بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما
مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه
وعشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعلم واختلاف الى حبر او
قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجي ما اتى به في معجز القران قاطعا لكل
عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر **فصل** ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم
وكراماته وباهر اياته انباوه مع الملايكة والجن وامداد الله له بالملايكة وطاعة الجن له ورؤية
كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين
وقال اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون ربكم
فاستجاب لكم اني ممدكم الاية وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القران حدثنا سفيان بن العاص الفقيه سماعا عليه نا ابو الليث السمرقندي قال نا
عبد الغافر الفارسي نا ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا عبيد الله بن معاذ نا ابي
نا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه
الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل
واسرافيل وغيرهما من الملايكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسرا مشهور
وقد راهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة وراى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده
جبريل في صورة دحية وراى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكاييل في صورة رجلين
عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملايكة خيلها يوم بدر وبعضهم
راى تطاير الرووس من الكفار ولا يرون الضارب وراى ابو سفيان بن الحرث يومئذ رجالا
بيضا على خيل بلق بين السما والارض ما يقوم لها شي وقد كانت الملايكة تصافح عمران بن
الحصين واري النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه وراى
عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم وذكر ابن سعد ان مصعب
لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك في صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا
مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ
في يده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام وقال نغمة الجن من انت
قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل
وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورة من القران وذكر الواقدي قتل خالد عند

هدمه

هدمه العزى المراة التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها خالد بسيفه واعلم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال صلى الله عليه وسلم ان شيطانا تفلت البارحة
ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري
المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب
لي ملكا لا ينبغي لاحد الاية فرده الله خاسيا وهذا باب واسع **فصل ومن دلايل نبوته**
صلى الله عليه وسلم وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الاحبار والرهبان
وعلما اهل الكتب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه
وما وجد في ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع واوس بن حارثة وكعب بن
لوي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم
وما عرف به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلما
يهود وشمول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التورية والانجيل
مما جمعه العلما وبينوه ونقله عنهم ثقات من اسلم منهم مثل عبد الله بن سلام وبني
شعبة وبني يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علما يهود وبحيرا ونسطور
الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي
ونصارى الحبشة واساقفة نجران وغيرهم ممن اسلم من علما النصارى وقد اعترف
بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورياساهم والمقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه
وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علما اليهود ممن
حمله الحسد والنفاسة على البقا على الشقا والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع
اليهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة اصحابه واحتج
عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه ولبهم السنتهم
ببيان امره ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابدا ما الزمهم
من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال
وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى
نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت
النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع
من هواتف الجان ومن ذبايح النصب واجواف الصور وما وجد من اسمه صلى الله عليه وسلم

والشهادة له بالرسالة مكتوبًا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما كثرته مشهور وإسلام من
أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور **فصل ومن ذلك ما ظهر من الآيات** عند مولده
وما حكته أمه ومن حضرها من العجائب وكونه رافعًا رأسه عندما وضعته شاخصًا
ببصره إلى السما وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته إذ ذاك أم عثمن
ابن أبي العاص من تدلي النجوم وظهور النور حتى ما تنظر إلا النور وقول الشفا أم عبد
الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضا
له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئره
من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته
وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة
ساوى وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان إذا أكل مع عمه أبي طالب
وآله وهو صغير شبعوا ورووا وإذا غاب لم يشبعوا ولم يرووا وكان سائر ولد أبي طالب
يصبحون شعثًا ويصبح النبي صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت أم أيمن حاضنته
ما رأيته صلى الله عليه وسلم شكى جوعًا ولا عطشًا صغيرًا ولا كبيرًا ومن ذلك حراسة السما
بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام
والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في التستر في الخبر المشهور في بنا الكعبة
إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل الحجارة فسقط إلى الأرض حتى رد عليه فقال له عمه ما بالك فقال إني نهيت
عن التعري ومن ذلك إظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية أن خديجة رضي الله عنها ونساءها
رأينه حين قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه
في سفره ومن ذلك أنه نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه فظل بشجرة يابسة فاعشوشب أرضها
وخرج ورقها وتدلت أغصانها عليه بمحضر من كان معه وفي الحديث الآخر ميل فيء الشجرة إليه
حتى أظلته وما ذكر أنه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورًا وأن الذباب كان
لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه ثم إعلامه بموته
ودنو أجله وأن قبره بالمدينة وفي بيته وأن بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة وأن
منبره على حوضه وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته
وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن
على غيره وندائهم الذي سمعوه أن لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة
لأهل بيته عند موته إلى ما ظهر على أصحابه من كراماته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر

على يدي م

بعمه وتبرك غير واحد بذريته **فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى**
قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد
منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واختصرنا من الأحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصود ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما صح واشتهر إلا يسيرًا
من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد تخفيفًا وبحسب هذا الباب
لو تقصي أن يكون ديوانًا جامعًا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه
وسلم أظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند
نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فإن أردته فتأمل
فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الأنبيا تقف على ذلك إن شا الله تعالى وأما
كونها كثيرة فهذا القرآن كله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة
إنا أعطيناك الكوثر أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة
وإن كانت من كلمة أو كلمتين والحق ما ذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فهو أقل ما تحداهم
به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي القرآن من
الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات إنا أعطيناك
الكوثر عشر كلمات فتجزأ القرآن على ذلك ونسبته أزيد من سبعة آلاف جزء كل
واحد منها معجز في نفسه ثم إعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل
واحد من هذا معجزتان فتضاعف من ذلك العدد ثم فيه من وجوه إعجاز أخر من الإخبار
بعلوم الغيب فكل خبر منها في نفسه معجز فتضاعف العدد كرة أخرى ثم من الإعجاز التي ذكرنا
ما يوجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر
براهينه ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم في هذه
الأبواب وعما دل على أمره مما أشرنا إلى جمله تبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته
صلى الله عليه وسلم فإن معجزات الرسل كانت بقدر أهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما
فيه أهل السحر في زمن موسى والأطبا في زمن عيسى صلوات الله عليهما فأتاهم موسى بما لا يحلوه
وأتاهم عيسى بما لا يحلوه ثم أعجزهم ذلك وهكذا سائر معجزات الأنبيا وبعث نبينا صلى
الله عليه وسلم بعثه الله وعلم معارف العرب وعلومها البلاغة والشعر والكهانة والخبر
فأنزل الله عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة
الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في

المنظوم اليه ولا الى طريقة ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن
والحوادث والاسرار والمخبات والضماير فتوجد على ما كانت ويعثر في الخبر عنها بعد
ذلك على صدقه وان كان اعلا العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا
ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجا من الاخبار عن القرون السالفة
وانبا الانبيا والامم البايدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه
على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى
الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القران ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل
امة تاتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب
على هذا السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد
الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس
اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كل عندها حقا وساير معجزات
الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله
فيما حدثنا الفقيه القاضي الشهيد ابو علي ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق
وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري قال ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن
ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبيا نبي الا اعطي
من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجوا
ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان
شا الله تعالى وذهب غير واحد من العلما في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى
الله عليه وسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه
ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشيا
طمعوا في التخييل بها على الضعفا كالقا السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر
او يتحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا
الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا
او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل
الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضى ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة
كانت في مقدورهم فصرفوا عنها او على مذهب احد اقوال اهل السنة من ان الاتيان بمثله

من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم
عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم
او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلا والجلا والسبا والاذلال وتغير الحال
وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد
ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شي من
جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا
عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية
ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية
معرفة ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلايق
المين من السنين بكلام من جنس كلامهم لياتوا بمثله فلم ياتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي
على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي ايتي ان يمنع الله القيام
عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان
من ابهر اية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلما وجه ظهور ايته
على ساير ايات الانبيا حتى احتاج للعذر بدقة افهام العرب وذكا البابها ووفور
عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم
من القبط وبني اسرايل وغيرهم لم يكونوا بهذه الدرجة بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة
بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا
المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاهم من الايات الظاهرة
البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نومن لك حتى
نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير
والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى
ومنهم من امن بالله وحده من قبل النبي صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفا لبه ولما
جاهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا
به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم
وقتلوا اباهم وابناهم في نصرته واتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج
اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب
بطون هذه المسالك وظهورها القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه

صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا قسم لخصنا فيه الكلام
في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه
وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما
اتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي وقال تعالى
فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله فالايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم
ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا
للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه ثنا الامام ابو علي
الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين ثنا امية بن بسطام
ثنا يزيد بن زريع عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي ابو الفضل والايمان
به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما
قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق
والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه
من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام الحديث وقد
قرر الايمان به يحتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان
وهذه الحالة المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون
تصديق القلب وهذا هو النفاق قال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون في قولهم ذلك
عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بالسنتهم دون التصديق فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه اذ لم يكن
معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة
اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر

بما اظهروه

بما اظهروه من علامات الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها
بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه
والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من
الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع
وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به ورآه
بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان ولم
يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح
في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها
جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة
من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد في النار وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ
الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها
وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي فيهما و
الزيادة والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى
ما زاد عليه من عمل او قد يعرض عليه فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم
اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا
غنية فيما قصدناه ان شاء الله

فصل

واما وجوب طاعته فاذا وجب
الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله وقال واطيعوا الله والرسول واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد
اطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه الاية وقال ومن يطع الله والرسول طاعة رسوله
فاولئك الاية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل الله تعالى طاعته
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب
واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام
سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسل اليه
وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع
الاسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله
في فرائضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم

وقيل اطيعوا الله بالشهادة بالربوبية والنبي بالشهادة بالنبوة حدثنا ابو محمد بن
عتاب بقراتي عليه نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن
يوسف نا البخاري نا عبدان انا عبد الله بن يونس عن الزهري انا ابو سلمة بن عبد الرحمن
انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اطاعني فقد اطاع
الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني
فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله وطاعة له
وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار الاية فتمنوا
طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه
واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني قال
فقد ابى وفي الصحيح مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت
الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طايفة من قومه فادلجوا وانطلقوا
على مهلهم فنجوا وكذبت طايفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جيت به ومثل من عصاني وكذب بما جيت به من الحق
وفي الصحيح مثله مثل رجل بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي
دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة
فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس فصل واما وجوب اتباعه وامتثال سنته
والاقتدا بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته
واتبعوه الاية وقال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية اي ينقادون لحكمك
يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجو الله الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتدا به
والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل
هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة
السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتدا باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين
الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم

محبته

محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوايهم
وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم حكمه وترك الاعتراض
عليه وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف
وغيره وانهم قالوا نحن ابنا الله واحباوه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال
الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد
لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم
برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القايل

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل
له ويكون بمعنى مدحه وثنايه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة
والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتي بعد في ذكر محبة العبد غير
هذا بحول الله عز وقوته حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه حدثنا ابو الاصبغ
عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراتي عليه قالا حدثنا حاتم بن
محمد حدثنا ابو حفص الجهني حدثنا ابو بكر الاجري حدثنا ابرهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود
ابن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو
الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر
بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكيا
على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدناه في
كتاب الله اتبعناه وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ترخص فيه فتنزه
عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ما بال قوم يتنزهون
عن الشي اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جا مع
القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي

بقولي

ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال الله تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال صلى الله عليه وسلم من اقتدى
بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية
محكمة او سنة قايمة او فريضة عادلة • وعن الحسن ابي الحسن قال صلى الله عليه وسلم عمل قليل
في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة
تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم المتمسك بسنتي عند فساد امتي له
اجر مائة شهيد وقال صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين ملة وان
امتي تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي
انا عليه اليوم واصحابي • وعن انس قال صلى الله عليه وسلم من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان
معي في الجنة • وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث من احيا سنة
من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا
ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه اثم من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا

فصل واما ما ورد عن السلف والامة من اتباع سنته •
والاقتدا بهديه وسيرته • حدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن الفقيه
سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ قال حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ
ووهب بن ميسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن
شهاب عن رجل من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال يا ابا عبد
الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القران ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن
اخي ان الله تعالى بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيا فانا نفعل كما رايناه يفعل • وقال عمر
بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب
الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها
من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المومنين ولاه الله
ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا • وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في
بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة • وكتب عمر
بن الخطاب بتعلم السنة والفرايض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا سيجادلونكم يعني بالقران فخذوهم

بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال
اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين قرن
فقال له عثمان رضي الله عنه ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني
اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود
يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان
من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض
من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا
كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها عنه
الا حط الله خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير
من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او
اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز
الى عمر بن عبد العزيز بحال بلده وكثرة لصوصه هل ياخذهم بالظنة او يحملهم على البينة
وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله فان
تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي عبد الله بن عمر
يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه قولا وفعلا
وسلم يفعله ففعلته وقال ابو عثمن الحيري من امر السنة على نفسه نطق
بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول
مذهبنا ثلاثة الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل
من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح
يرفعه انه الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي احمد بن حنبل قال كنت يوما
مع جماعة تجردوا ودخلوا الما فاستعملت الحديث من كان يومن بالله واليوم الاخر
فلا يدخل الحمام الا بميزر ولم اتجرد فرايت في تلك الليلة قايلا يقول لي يا احمد ابشر
فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل

ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد عليه من الله بالخذلان والعذاب
قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم
وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين
نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الله بن عتاب بقراءتي
عليهما قالا نا ابو القسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو الحسن بن مسرور الدباغ
نا احمد بن سليمان نا سحنون بن سعيد نا ابن القسم نا ملك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة
امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم
الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى
ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكيا على اريكته
ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال
صلى الله عليه وسلم وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما
جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم الاية وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون وقال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به
الا عملت به اني اخشى ان تركت شيا من امره ان ازيغ **الباب**
الثاني في لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
وقال تعالى قل ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم
خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع تعالى من كان ماله واهله وولده احب
اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله **حدثنا**
ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد قال نا سراج بن عبد
الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا المروزي نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل
نا يعقوب بن ابرهيم نا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي

هريرة

هريرة نحوه وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان
يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في
الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله
عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر
والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في
ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يومن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث **فصل في ثواب**
محبته حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا ابو القسم حاتم بن محمد نا ابو
الحسن علي بن خلف نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبدان
نا ابي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها من كثير صوم ولا صلاة
ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة
هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك
فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن
النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه
وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين
واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروى ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجي فانظر
اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين
وان دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاوليك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اوليك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي
حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال
بابي وامي اتمتع بالنظر فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية
وفي حديث انس ومن احبني كان معي في الجنة **فصل** فيما روي عن السلف
والايمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد

العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن عبد
الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي
لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو راني باهله وماله ومثله عن ابي ذر وتقدم حديث
عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله
وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت
خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي
وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل ربي قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي
عن ابي بكر انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر
لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابا طالب كان اقر لعينك
ونحوه عن عمر بن الخطاب قال للعباس ان تسلم احب الي من اسلام الخطاب
لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امراة من الانصار
قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه
حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسيل [علي بن ابي طالب كيف كان حبكم] لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان [والله] احب الينا من اموالنا واولادنا واباينا وامهاتنا ومن الما البارد
على الظما وعن زيد بن اسلم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فراى
مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار * صلى
عليه الطيبون الاخيار * قد كنت قواما بكا بالاسحار * يا ليت شعري والمنايا
اطوار * هل تجمعني وحبيبي الدار * تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس
عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل
له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر
بلال رضي الله عنه نادت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا الفى الاحبه محمدا
وحزبه وروي ان امراة قالت لعايشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكشفته فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن […] من الحرم ليقتلوه قال له
ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه
وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة

والي

واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا
صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم
حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض [عن ارض] وما خرجت الا حبا لله ورسوله
ووقف عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما
تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته

صلى الله عليه وسلم اعلم
ان من احب شيئا اثره واثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق
في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به
واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب بادبه
في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته
قال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان الاية واسخاط العباد في رضى الله تعالى حدثنا
القاضي ابو علي الحافظ نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا نا ابو يعلى
البغدادي نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا عيسى نا مسلم بن حاتم نا عبد الله
الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش
لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني ومن احبني
كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها
في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه
وسلم للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يوتى به فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله
عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى
لقايه فكل حبيب يحب لقا حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة
انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبه محمدا وحزبه وتقدم قول بلال ومثله
قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة
ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه
قال اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا
واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له

وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو لسببه من اهل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض
من ابغضهم وسبهم فمن احب ماحب وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين
اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني
ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله
وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم فبالحقيقة من احب شيا احب كل شي يحبه وهذه سيرة السلف حتى في
المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع
الدبا من حوالي القصعة فما زلت احب الدبا من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد
الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله
ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه
واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله الاية وهولاء اصحابه صلى الله عليه وسلم قد قتلوا احباهم
وقاتلوا اباهم وابناهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت
لاتيتك براسه يعني اباه ومنها ان يحب القران الذي اتى به صلى الله عليه وسلم
وهدي به واهتدي وتخلق به حتى قالت عايشة كان خلقه القران وحبه للقران
تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله
علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه
وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب
الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا الا يدخر منها الا زادا
يبلغه الى الاخرة وقال ابن مسعود لا يسال احد عن نفسه الا القران فان
كان يحب القران فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته
على امته ونصحه لهم وسعيه لمصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان صلى الله عليه وسلم
بالمومنين رؤف رحيم ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر
واتصافه به وقد قال صلى الله عليه وسلم لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني

منكم

منكم اسرع من السيل من الوادي او من الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل
قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني لاحبك ثلاث مرات
قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه والله اعلم

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس
في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليس يرجع ما ختمه
الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول صلى الله
عليه وسلم كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها
وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار
المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب
ويكره ما كره وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة
اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان
وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة
والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مايل اليها لموافقتها له
او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلما
واهل المعروف والماثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مايل الى
الشغف بامثالها الا حتى بلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرين
ما يودي الى الجلا عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته
له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها واذا
تقرر ذلك هكذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه
المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصور الظاهرة وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا
فيها قبل فيما مر ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه
في اوصاف الله تعالى له من رافته ورحمته بامته وهدايتهم به وشفقته عليهم واستنقاذهم
به من النار وانه بالمومنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه ويتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المومنين واي
فضل اعم منفعة واكثر فايدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم

الى الهدايه ومنقذهم من العمايه وداعيهم الى الفلاح والكرامة وسبيلهم الى دار [illegible] وشفيعهم
والمتكلم عنهم والشاهد والموجب لهم البقا الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه
صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة
وجبلة لما ذكرناه انفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من
منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذي بها
قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا
كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يوثر من قوام طريقته او قاض بعيد الدار
لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى الصواب يستفاد
بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته صلى الله عليه وسلم من راه بديهة هابه ومن
خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه

فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على
المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا
مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراتي عليه حدثنا الحسين
ابن محمد نا يوسف بن عبد الله نا ابن عبد المومن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا احمد بن يونس
نا زهير نا سهيل بن ابي صالح عن عطا بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول
الله قال لله ولكتابه ولرسوله وايمة المسلمين وعامتهم قال ايمتنا رحمهم الله النصيحة لله
ورسوله وايمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر
بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها
في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق
الخفاف النصح فعل الشي الذي به الصلاح والملاءمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي
يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه
والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته
والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين
وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة فيما امر به ونهى عنه
قاله

قاله ابو سليمان وقال ابو بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحيا سنته
بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابراهيم
اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جا به والاعتصام
بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى
العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصح في حياته ونصح في
مماته ففي حياته نصح اصحابه بالنصرة له والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع
والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين
له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم
سنته والتفقه في شريعته ومحبة ال بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته
وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه
وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكرته تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة
من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك
خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في النوم بعد وفاته فقيل له ما فعل
الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت يوما على جبل فاشرفت على جنودي
فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته
ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لايمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم
فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم
من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح
لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل
وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار
عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره

ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الاية وقال يا ايها الذين امنوا لا
ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية وقال لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا
بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس

قال ابن عباس يعزروه يجلّوه وقال المبرد يعزروه يبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش
ينصرونه وقال الطبري يعينونه وقرئ يعززوه بزايين معجمتين من العز ونهى عن التقدم
بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار
ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فانصتوا له واستمعوا
قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه وان يفتاتوا
بشيء من ذلك من قتال وغيره من امور دينهم الا بامره ولا يسبقونه والى هذا يرجع قول
الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك
فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي
اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم
عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع
صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام
وتغلظوا له الخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه
ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الاية
الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول الاية على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا
مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل
نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا يا
محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون
وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فلما نزلت الاية اقام في منزله وخشي
ان يكون حبط عمله الحديث بطوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما
ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان
ابا بكر لما نزلت الاية قال يا رسول الله والله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار ما كان يسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه فانزل الله تعالى ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله الاية وقيل نزلت الاية الثانية في وفد بني تميم نادوه باسمه غيره
وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت
له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت

وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في
الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا
نرع لك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى
على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي
المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ وقيل
غير هذا

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم

وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي سماعا عليهما [illegible]
واخرين قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا احمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى ثنا ابرهيم بن سفيان ثنا مسلم
ثنا محمد بن المثنى وابو معن الرقاشي واسحاق بن منصور ثنا الضحاك بن مخلد ثنا حيوة
ابن شريح ثنا يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر
حديثا طويلا فيه عن عمرو قال ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق املا عيني منه وروى الترمذي عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار
وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا
ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤوسهم الطير وفي حديث
صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود
حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم
له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق
بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم
ولا يسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم
خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال
يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه
واني والله ما رايت ملكا في قوم قط يعظمه اصحابه كما يعظم محمدا اصحابه وقد
رايت قوما لا يسلمونه بشيء ابدا وعن انس لقد رايت رسول الله صلى الله عليه والحلاق
يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا
لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه رسول الله صلى الله عليه

وسلم اليوم في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي
جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصا ارعدت من الفرق وذلك هيبة
له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعون
بابه بالاظافر وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الامر فاوخره سنين من هيبته **فصل** واعلم ان حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك
عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته
ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابرهيم التجيبي واجب على
كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته
وياخذ في هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا
الله به قال القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين
رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو
القسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا نا ابو العباس احمد بن عمر
ابن دلهاث قال نا ابو الحسن علي بن فهر نا ابو بكر بن محمد نا احمد بن الفرج عبد الله بن
المنتاب نا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل نا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير
المومنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين
لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الآية وذم
قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا
فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة
ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك
الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله الآية
وقال مالك وقد سيل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه

قال

وجه جفنيه نكتت وعقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه مما
رايته منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه **وقال** مصعب بن عبد الله كان مالك اذا
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم تغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك
فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد
نساله عن حديث الا يبكي حتى نرحمه **و**لقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا
ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على
طهارة **و**لقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا القرآن
ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء العباد الذين يخشون الله عز وجل **و**لقد كان عبد الرحمن بن القسم
يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم **و**لقد كنت اتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في
عينيه دموع **و**لقد رايت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
فكانه ما عرفك ولا عرفته **و**لقد كنت اتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركونه **وروي** عن قتادة انه كان اذا
سمع الحديث اخذه العويل والزويل **ولما** كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء
وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع **وكان**
عبد الرحمن بن مهدي اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله
صلى الله عليه وسلم . **فصل** في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو الفضل بن
خيرون حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن
مبشر حدثنا احمد بن سنان القطان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا المسعودي
عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله فعلاه كرب حتى رايت العرق
يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شا الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما قريب من ذا وقد تربد وجهه وفي
رواية فقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه **وقال** ابرهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري
قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس

فيه نكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قايم وقال مالك جا رجل الى ابن
المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال الرجل وددت انك لم تتعن فقال
اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي عن محمد بن
سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خشع وقال
ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء
اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن
عبد الله كان مالك بن انس رضي الله عنه اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا
وتهيا ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسيل عن ذلك فقال انه حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت
اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسايل فان قالوا
المسايل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس
ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على راسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس
عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود الى ان يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن ابي
اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به
الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او قايما او مستعجلا وقال احب ان
افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا
على غير وضوء نيتمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرا حديث النبي الا على
وضوء وقال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدث فلدغته عقرب ستة عشر
مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق
عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسالته
عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسال عن حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وساله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قايم
فامر بحبسه فقيل انه قاض فقال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن الغاز سال
مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال
هشام وددت لو زاد في سياطا وزادني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك

والليث

والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرا احاديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا طاهرا وكان الاعمش
اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم **فصل ومن توقيره** صلى
الله عليه وسلم وبره وبر اله وذريته وامهات المومنين ازواجه كما حض عليه صلى
الله عليه وسلم وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا
الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله قال ابو الحسن المقرى
الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر بن الخفاف قال حاتم هو ابن عقيل قال
يحيى هو ابن اسمعيل قال يحيى هو الحماني قال وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن
يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل
بيتي ثلثا قلنا لزيد من اهل بيته قال ال علي وال جعفر وال عقيل وال العباس
وقال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي
اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال صلى الله عليه وسلم معرفة ال محمد براة
من النار وحب ال محمد جواز على الصراط والولاية لال محمد امان من العذاب
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم
بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وذلك في بيت ام سلمة
دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هولاء اهل بيتي
فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة
دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هولاء
اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مومن ولا يبغضك
الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم
لله ولرسوله ومن اذى عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس
اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءة وقال هذا عمي وصنو ابي وهولاء
اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت
امين امين وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما

وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم
احب الله من احب حسنا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين
واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمه وقال صلى الله عليه وسلم من اهان
قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمه
لا تؤذيني في عايشه وعن عقبه بن الحارث رايت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن
على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله
ابن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كان لك حاجة فارسل
الي او اكتب الي فاني استحي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على
جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجا ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه
يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلما فقبل زيد يد ابن
عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا وراى ابن عمر محمد بن اسامة
ابن زيد فطاطا راسه ونقر بيده الى الارض وقال لو راه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامه على عمر بن عبد العزيز
ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه
ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك
لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر لابنه عبد الله ثلاثة الاف ولاسامه بن زيد
ثلاثة الاف وخمسمايه قال عبد الله لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له
لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامه احب
اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معويه
ان كابس بن ربيعه يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب
الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صوره
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان
ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني
جعلت ضاربي في حل فسيل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله
عليه وسلم فاستحي منه ان يدخل بعض اله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده
من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته

في حل

في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر
وعلي لبدات بحاجة علي لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السما الى
الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانه لبعض ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعه فقال اليس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا رايتم ايه فاسجدوا واي ايه اعظم من ذهاب ازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه
وسلم فيقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة
السعدية على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداه وقضى حاجتها فلما توفي
صلى الله عليه وسلم قدمت حليمه على ابي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك

فصل

ومن توقيره وبره عليه السلام توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتدا بهم وحسن
الثنا عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب
عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعه والمبتدعين القادحة في
احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل عنهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب
المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم
وفضايلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما ورا ذلك كما قال عليه السلام اذا ذكر
اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشدا على الكفار رحما
بينهم الى اخر السوره وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الايه وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجره وقال رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الايه حدثنا القاضي ابو علي نا ابو الحسين وابو الفضل نا ابو يعلى
نا ابو عيسى السنجي نا محمد بن محبوب الترمذي نا الحسن بن الصباح نا سفيان بن عيينه
عن زايده عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابو بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي
كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال
لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا

نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار
اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر
وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد
احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم
فليس له في المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاوا من بعدهم الاية وقال من غاظه في
اصحاب محمد فهو كافر بقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك
خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال
ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل
ومن احب عثمان فقد استضا بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى
ومن احسن الثنا على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد بري من النفاق ومن انتقص
احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والعمل الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى والسلف
السما حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس
اني راض عن عمر فاعرفوا له ذلك واني راض عن عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد
وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية
ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة
فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز
من معوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتى النبي صلى الله عليه فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي احد
وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال
صلى الله عليه وسلم في الانصار اعفوا عن مسيهم واقبلوا من محسنهم وقال
احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا
والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه
وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال
من لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولا يراني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا
النبي مودب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف
الليل الى البقيع فيدعوا ويستغفر لهم كالمودع وبذلك امره الله وامر النبي بحبهم

وموالاتهم

وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
الا له شفاعة يوم القيمة وطلب المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن
عبد الله التستري لم يومن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره

فصل

ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة
والمدينة ومعاهده وما لمسه صلى الله عليه وسلم او عرف به وروي عن صفية بنت
نجدة قال كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض
فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم
فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد بشدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم
لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة
وكان يقول استحيي من الله ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة
وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا لا كان عنده فقال له الشافعي
امسك منها دابة فاجابه بمثلما تقدم وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن
فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة
منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة
رديه يضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه
تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال صلى
الله عليه وسلم في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملايكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاها الغفاري
اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمن رضي الله عنه وتناوله ليكسره
على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول
وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا فليتبوا مقعده من النار
وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زايرا وقرب من بيوتها
ترجل ومشى باكيا وانشد

ولما راينا رسم من لم يدع لنا ... فوادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينه الرسول صلى الله عليه وسلم

انشد متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري ... قمر تقطع دونه الاوهام

واذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطي الثرى ... فلها علينا حرمه وذمام

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الابق ما ياتي بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي وقال القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكايل وعرجت منها الملايكه والروح وضجت عرصاتها بالتسبيح والتقديس واشتملت تربتها على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وخاتم النبيين حيث انفجرت النبوه وان فاض عبابها ومواطن مهبط الرساله واول ارض مس جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ترابها ان تعظم عرصاتها وتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها

وانشد

يا دار خير المرسلين ومن به ... هدي الانام وخص بالايات

عندي لاجلك لوعة وصبابة ... وتشوق متوقد الجمرات

عهد علي لان ملات محاجري ... من تلكم الجدرات والعرصات

لاعفرن مصون شيبي بينها ... من كثره التقبيل والرشفات

لولا العوادي والاعادي زرتها ... ابدا ولو سحبا على الوجنات

لكن ساهدي من حفيل تحيتي ... لقطين تلك الدار والحجرات

اذكى من المسك المفتق نفحه ... يغشاه بالاصال والبكرات

وتخصه بزواكي الصلوات مع ... نوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاه عليه والتسليم

وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي الايه وقال ابن عباس معناه ان الله وملايكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي والملايكه يدعون له قال المبرد واصل الصلاه الترحم فهي من الله رحمه ومن الملايكه رقه واستدعا للرحمه من الله وقد ورد في الحديث صفه صلاه الملايكه على من جلس ينتظر الصلاه اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعا وقال بكر القشيري الصلاه من الله تعالى لمن دون النبي رحمه وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزياده تكرمه

وقال

[illegible] على النبي صلى الله عليه وسلم

وقال ابو العاليه صلاه الله عليه ثناوه عليه عند الملايكه وصلاه الملايكه الدعا قال القاضي ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاه عليه بين لفظ الصلاه ولفظ البركه فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى عباده به فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الايه على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا عليه عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام ثلثه اوجه احدها السلامه لك ومعك ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذه والثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام هو الله والثالث ان السلام بمعنى المسالمه والانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم ان الصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجمله غير محدوده بوقت لامر الله تعالى بالصلاه عليه وحمل الايمه والعلما على الوجوب واجمعوا عليه وحكي ابو جعفر الطبري ان محمل الايه عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مره والواجب منه الذي يسقط به الحرج وماثم ترك الفضل مره كالشهاده له بالنبوه وما عدا ذلك فمندوب مرغوب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسين بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجمله على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مره من دهره مع القدره على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد الصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم واجبه في الجمله قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجمله بعقد الايمان لا يتعين في الصلاه وان من صلى عليه مره واحده من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلاه وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبه واما في الصلاه فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علما الامه على ان الصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبه وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخير

وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول
ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسألة لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا
عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب
ان لا يصلي احد صلاة الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فيها فان ترك ذلك تارك فصلاته
مجزية عند مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي
وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان الاستحباب وان تاركها
في التشهد الاخير مسيء وشذ الشافعي فاوجب الاعادة على تاركها واوجب اسحاق الاعادة
مع التعمد لتركها دون النسيان وحكى ابن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابن ابي زيد يريد ليست من فرائض الصلاة وقاله
محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان ابن المواز يراها
فريضة في الصلاة كقول الشافعي وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في
هذه المسألة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا
الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف
الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه في هذه المسألة جدا وهذا
تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي
صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي
موسى وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال
ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من
القران ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون
الصبيان في الكتاب وكذلك فعل عمر وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار
معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم هذا الحديث وفي
حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل
علي فيها ولا على اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن
علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته
لرايت انها لا تتم

فصل في المواطن

التي يستحب فيها الصلاة والسلام
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك

بعد

بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال ثنا الامام
ابو القسم البلخي قال ثنا الفارسي عن ابي القسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى الحافظ قال ثنا
محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا حيوة بن شريح ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن مالك
الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو
في الصلاة فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه
فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم ليدع بما شاء ويروى من غير هذا السند بتحميد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب
قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والارض فلا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال
وعلى ال محمد وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن
مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله شيا فليبدا بحمده والثناء عليه بما هو اهله ثم
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسال فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملا قدحه ثم يضعه ويرفع
متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضا والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول
الدعاء واوسطه واخره وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات
فان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق
القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه
الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين لا يرد وفي حديث
اخر كل دعاء محجوب بين السماء والارض فاذا جاءت الصلاة علي صعد وفي دعاء ابن
عباس الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب دعائي ثم تبدا بالصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ورسولك افضل ما صليت على
احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه او
كتابه او عند الاذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل
علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه
عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب وقال اصبغ
عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد
ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله

وقال اشهب وقال لا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لسبب وروى
النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه
يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي
لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك
عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا
خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب
اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل
السلام على النبي واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
واحتج ابن شعبان لقوله بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو
بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم وبالاختلاف
في اللفظة ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنائز وذكر عن ابي امامة
انها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها الامة ولم ينكروها الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم واله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا
في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار
الارض ومنهم من يختم بها ايضا الكتب وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب
لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام عليه
صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القسم خلف بن ابرهيم المقرئ
الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت نا ابو الهيثم نا محمد بن
يوسف نا محمد بن اسمعيل نا ابو نعيم نا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات
والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن
التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول اذا فرغ

السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال النخعي اذا دخل المسجد ... يعنى المساجد صح

من تشهده

ملجام

من تشهده واذا اراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم مثل ذلك قبل السلام قال محمد
ابن مسلمة اراد عن عايشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم
ان ينوي الانسان عند سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني ادم والجن
قال مالك في المجموعة واحب للماموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل

في كيفية الصلاة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه
بقراءتي عليه نا القاضي ابو الاصبغ نا ابو عبد الله بن عتاب نا ابو بكر بن واقد وغيره نا ابو عيسى
نا عبيد الله نا يحيى بن مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي
انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ال ابرهيم وبارك على محمد وازواجه
وذريته كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود
الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله كما صليت على ال ابرهيم وبارك على محمد
كما باركت على ال ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية
كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وال محمد كما
باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي
الامي وعلى ال محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وذكر معناه وحدثني القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن
ابن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا نا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال نا ابو بكر
المطوعي قال نا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن
حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن الحسين عن ابيه
علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على
محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن
على محمد وعلى ال محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم

على محمد وعلى ال محمد كما سلمت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا فليقل اللهم صل على
محمد النبي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابرهيم انك حميد
مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف
نصلي عليك قال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما
باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل
شرايف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح
لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل
كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا
لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس الا الله تصل باهله اسبابه
به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام ونايرات الاحكام
ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم
الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات
الخير من فضلك مهنات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطايك
المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره
واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ومنطق عدل وخطة
فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
وملايكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم
والملايكة المقربين والنبيين والصديقين والشهدا والصالحين وما سبح لك من شي
يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين
ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه
السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة
اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال
محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على
ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب

بالكاس

بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده
وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا
معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل
شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته سوله في الاخرة والاولى
كما اتيت ابرهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعايه
اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك
واعط محمدا افضل ما انت مسول له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان يقول
اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك
يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة اللهم
ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال
ابرهيم انك حميد مجيد ومما ورد في تطويل الصلاة وتكثير الثنا على اهل البيت وغيرهم
وقوله والسلام كما قد علمتم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي السلام على نبي الله السلام على
انبيا الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى
المومنين والمومنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل
بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته كما في هذا الحديث عن علي الدعا للنبي صلى الله عليه وسلم
بالغفران

فصل في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه

والدعا له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه نا القاضي يونس بن مغيث
نا ابو بكر بن معوذ نا النساي انا سويد بن نصر انا عبد الله بن حيوة بن شريح قال انا
كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة
لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت
عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة

صلى الله عليه عشرا وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال أبشرك أن الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان وعبيد الله بن أبي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود أولى الناس بي يوم القيمة أكثرهم علي صلاة وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر وعن أبي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال أبي بن كعب يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت قال الثلث قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك قال إذا تكفى ويغفر ذنبك وعن أبي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فأتاني ببشارة من ربي إن الله تعالى بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك إلا صلى الله عليه وملائكته عشرا وعن جابر ابن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن أبي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر له وروى ابن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكأنما أعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن علي أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم علي وفي آخر إن أنجاكم يوم القيمة من أهوالها ومواطنها أكثركم علي صلاة وعن أبي بكر رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد

للنار

للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب **فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم** حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله ثنا أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا ثنا أبو يعلى السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا ربعي بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن وأظنه قال أو أحدهما وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال إن جبريل صلى الله عليه أتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين وقال من أدرك رمضان فلم يتقبل منه فمات مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما مثل ذلك وعن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي أخطي به طريق الجنة وعن علي بن أبي طالب البخيل كل البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي وعن أبي هريرة قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أيما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم وعن أبي هريرة من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا عن أنتن من ريح الجيفة وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى أبو عيسى الترمذي عن بعض أهل العلم قال إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس **فصل في تخصيصه صلى الله عليه وسلم** بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من الأنام حدثنا القاضي أبو عبد الله أبو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد ثنا أبو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا أبو داود ثنا ابن عوف المقرئ ثنا حيوة عن أبي صخر حميد بن

فمات

زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من
احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي
نائيا بلغته وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام
ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى
به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ
منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم
تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر
بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن
علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم
تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة
فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه
وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم
قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اكثروا علي من الصلاة في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم
وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها
الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي وسائر الانبيا عليهم السلام

قال القاضي وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
وروي عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وروي عنه لا ينبغي
الصلاة على غير النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى على غير النبي ووجدت بخط بعض شيوخي
مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا
غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على
غير الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا
باس بالصلاة على الانبيا كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جا في حديث
تعليم النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى آله قالوا

والاسانيد

والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب الترحم والدعا وذلك على الاطلاق
حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته
وقال وصل عليهم وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي
حديث الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي اخر وعلى آل محمد قيل اتباعه
وقيل امته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله
الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل
تقي ويجي على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته على
النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض
ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله لقد اوتي
مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث ابي حميد الساعدي
في الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى
الاندلسي وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول
اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال
القاضي والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله تعالى
وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقها والمتكلمين انه لا يصلى
على غير الانبيا عند ذكرهم بل هو شي يختص به الانبيا توقيرا لهم وتعزيرا كما يخص الله
تعالى عند ذكره بالتنزيه والتعظيم والتقديس ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب
تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا بالتعظيم بالصلاة والتسليم ولا يشارك
فيه سواهم كما امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة
وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الاية وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا
في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثه الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة
فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا
فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة
على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على

التخصيص وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها الدعاء والموالاة ليس فيها
معنى التعظيم والتوقير والواو قد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فلذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار أبي المظفر
الاسفرايني من شيوخنا

فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم

وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره سنة من المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغوب فيها وروي
عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس
ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيامة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكأنما زارني
في حياتي وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى
ذلك فقيل كراهة الاسم لحديث لعن الله زوارات القبور وهذا مردود بقوله صلى الله عليه
وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقيل من قوله من زار قبري فاطلق اسم
الزيارة وقيل لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء وليس مطردا العموم
وحديث زيارة اهل الجنة ربهم جاء ثبت ولم يمنع هذا اللفظ في حق الرب تعالى وتقدس
والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى القبر وانه لو قال زرنا النبي لم يكرهه
لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل
اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب ٣ والقصد الى الصلاة في المسجد مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه
ومواطئ قدميه والعود الذي كان يستند اليه ومنزل جبريل بالوحي فيه عليه وعن عمره
وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض
من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان
الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه
ملك صلى الله عليك يا فلان ولم يسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري
قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد
من الشام قال بعضهم رأيت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف
فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف

[illegible] واجاز بعض اهل العلم ارسال السلام [illegible] قبر النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

قال مالك

قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف ووجهه الى
القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند
قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم
وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه وقال
نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة واكثر يجيء الى القبر فيقول السلام
على النبي السلام على ابي بكر السلام على عمر وفي رواية السلام على ابي ثم ينصرف وفي
الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو
لابي بكر وعمر قال مالك في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو
الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولابي بكر
وعمر لما جاء في حديث ابن عمر من الخلاف وكان ابن حبيب يقول اذا دخلت مسجد الرسول
بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته
على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان
الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك
بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك
في غير الروضة اجزأتاك وفيها افضل لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري
روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا
فتصلي عليه وتثني بما حضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلاة في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تأتي مسجد قباء فتصلي فيه وقبور
الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج
يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر
وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم
قالت اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل
ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان
وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد

السلم عليك ايها النبي ورحمة الله بسم الله دخلنا بسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا
يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
قال صلى الله على محمد وسلم وذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلم على رسول الله وعن غيرها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي
ابواب رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم
وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل
المدينة الوقوف بالقبر انما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر
ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعوا له ولابي بكر وعمر فقيل له
ان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة
او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون
ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر
هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون
ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القسم ورايت اهل المدينة اذا
خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك راي قال الباجي ففرق بين اهل
المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من
اجل القبر والتسليم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري
عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه
ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدا بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود
المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصف الاول والتنفل فيه للغرباء احب الي من
التنفل في البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي
مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد
اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك

بن انس وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد بقراءتي عليه
حدثنا ابو علي الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر
التمار حدثنا ابو داود حدثنا مسدد حدثنا سفين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي
هذا والمسجد الاقصى وقد تقدم من الاثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخوله
المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله
العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك سمع عمر بن الخطاب صوتا
في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت فقال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين لادبتك ان مسجدنا
هذا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من
الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي ابو الفضل حكى ذلك القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل
المسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي
اسماعيل قال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط
عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت وقد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد
الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير
من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي ابو الفضل اختلف الناس في معنى هذا الاستثنا
على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع عنه صاحبه
وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة في
سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من
الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير
من مائة صلاة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا
مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب
اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي
عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلاة في المسجد الحرام افضل من
الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله فياتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا
على الصلاة على سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره صلى الله عليه وسلم اشرف بقاع
الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد
ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلاة الفرض وذهب

وغيرها

مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان وكانوا
من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة ونحوها دخل المسجد
وقال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة في اعلام
ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث اخر ومنبري على ترعة
من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت
سكناه على الظاهر مع انه روي ما بينه بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا
القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري روضة من رياض
الجنة قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينهما خلاف
لان قبره في حجرته وهي بيته وقوله ومنبري على حوضي فيحتمل انه منبره بعينه
الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث
ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب
منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما
انه موجب لذلك وان الدعا والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال
السيوف والثاني ان البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة بعينها قاله
الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوايها وشدتها احد الا كنت له شهيدا وشفيعا
يوم القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال
انما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها وقال لا يخرج احد منها
رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروى عنه صلى الله عليه وسلم
من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا الا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه
ولا عذاب وفي طريق اخر بعثه الله من الامنين يوم القيمة وعن ابن عمر
رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت
بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي
ببكة مباركا وهدى للعالمين الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل
كان يامن من الطلب من احدث حدثا والتجا اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان قوما
اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا فاضرموا عليه النار

طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان اي من حج
حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم
حرمتك وعنه صلى الله عليه وسلم ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب
الله له وكذلك عند الميزاب وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة من الامنين قرات على القاضي الحافظ
ابي علي رحمه الله حدثكم محمد العباس العذري قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي
حدثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفين
ابن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا ما دعوت الله تعالى
بشيء في هذا الملتزم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا ما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفين كذلك وقال محمد بن ادريس كذلك وقال
ابو الحسن محمد بن الحسن وانا كذلك وقال ابو اسامة وانا ايضا كذلك ما دعوت بشيء من الدنيا
الا استجيب لي وارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري وانا ما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت باشيا كثيرة
استجيب بعضها وارجو من سعة فضل الله تعالى ان يستجيب بقيتها قال القاضي ابو الفضل
ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم يكن من الباب لتعلقها بالفصل قبله لكي
تتم الفايدة والله الموفق للصواب

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية
ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية وقال
تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الاية
وقال قل انما انا بشر مثلكم الاية محمد صلى الله عليه وسلم سيد البشر وهو بشر وساير الانبيا بشر
ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما طاق الناس مقاومتهم والقبول منهم والاخذ عنهم ومخاطبتهم
قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنهم مخاطبتهم
اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال تعالى لو كان في
الارض ملايكة يمشون مطمئنين الاية اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه
او من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبيا والرسل فالانبيا والرسل وسايط

[illegible]

بين الله وبين خلقه يبلغونهم أمره ونهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه
وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم وبواطنهم وأجسادهم متصفة بأوصاف
البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية
فيه وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة
بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية
إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم
ومخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة
وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى
فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما
قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة
الإسلام لكن صاحبكم خليل الله وكما قال صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام
قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات
مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الأكثر
يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما يأتي به بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية

والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم قال القاضي أبو
الفضل رضي الله عنه اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد البشر لا يخلو
أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار كالأمراض والأسقام أو تطرأ
بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى
ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم
الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله
عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت
البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات
التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله فيما نأتي به من التفاصيل

فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم
منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان
به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء
من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا

ووضح خ

والانتفا

وص

والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة
بذلك واليقين هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود
الأنبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم
في إخبار الله له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له
العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني أنه إنما أراد اختبار
منزلته عند الله وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله أولم تؤمن أي تصدق
بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الثالث أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة إذ
العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك ممتنع ومجوز في النظريات
فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس
الخبر كالعيان ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور
اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي الموتى طلب ذلك
من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الأدب المراد أقدرني
على إحياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الأمنية الوجه السادس أنه أرى من نفسه الشك
وما شك ولكن ليجاوب فيزداد قربة وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من
إبراهيم نفي لأن يكون إبراهيم شك وإبعاد للخواطر الضعيفة أن تظن هذا بإبراهيم أي نحن موقنون
بالبعث وإحياء الله الموتى فلو شك إبراهيم لكنا أولى بالشك منه إما على طريق الأدب أو
يريد أمته الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع والإشفاق إن حملت قصة إبراهيم
على اختبار حاله أو زيادة يقينه فإن قلت فما معنى قوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك
الآية فاحذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين
عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر
فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل
ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد
للشاك إن كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما يدل على هذا التأويل قوله تعالى
قل يا أيها الكافرون الناس إن كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب
وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد
به غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلا

الاتراه يقول و لا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب
فيما يدعوا اليه فكيف يكون عن كذب فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل
هذه الاية الرحمن فسئل به خبيرا المامور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسئل النبي
والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول لا المستخبر السايل وقال ان هذا الشك الذي
امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرون الكتاب انما هو فيما قصه من اخبار
الامم لا فيما دعى اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا وسل من ارسلنا قبلك من رسلنا
الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهه للنبي صلى الله عليه وسلم قاله المعنى وقيل
معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدا اجعلنا من دون الرحمن
الاهه على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال
الانبيا ليله اسرى به عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروى انه قال
لا اسال قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاوهم بغير التوحيد وهو
معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتاده والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت
به الرسل وانه تعالى لم ياذن في عباده غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل بالحق الاية اي يعلمون انك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما من ربك
ذكر في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى في ذلك لا
تكونن من المشركين بدليل قوله اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلى الله
عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير لقوله اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
قد علم الله انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فسل تزدد طمانينه وعلما الى علمك ويقينك
وقيل ان كنت في شك مما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في التوراه والانجيل ونشر
فضايلك وحكي عن ابي عبيده ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل
فما معنى قوله حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراه التخفيف قلنا
المعنى في ذلك ما قالته عايشه رضي الله عنها معاذ الله ان يظن ذلك الرسل بربها
وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا وظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم
وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عايد الى الاتباع والامم لا على
الانبيا والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعه من العلما وبهذا
المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق

مغضب

بمنصب العلما فكيف بالانبيا وكذلك ما ورد في حديث السير من قوله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها
لخديجه لقد خشيت على نفسي معناه خشي ان قوته لا تحتمل مقاومه الملك واعبا الوحي
لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقايه الملك او يكون ذلك
قبل لقايه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوه لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه
الحجر والشجر وروياه المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك
كان اولا في المنام ثم اري في اليقظه مثل ذلك تانيسا له صلى الله عليه وسلم لئلا يفجاه
الامر مشاهده ومشافهه فلا يحتمله لاول حاله وفي الصحيح عن عايشه رضي الله عنها اول
ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقه قالت ثم حبب اليه
الخلا الى ان جاءه الحق وهو في غار حرا وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم
بمكه خمس عشره سنه يسمع الصوت ويرى الضو سبع سنين ولا يرى شيا وثمان سنين يوحى
اليه وقد روي ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره
بغار حرا فجاني وانا نايم فقال اقرا فقلت ما اقرا وذكر نحو حديث عايشه في غطه له
واقراءه اقرا باسم ربك السوره قال فانصرف عني وهببت من نومي فكانما صورت في قلبي
ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى
شاهق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا
ينادي من السما يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل على صوره
رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد قبل لقا
جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله له بالنبوه واظهاره واصطفايه له
بالرساله ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجه اذا خلوت
وحدي سمعت ندا وقد خشيت والله ان يكون هذا الامر ومن روايه حماد بن سلمه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجه رضي الله عنها اني لاسمع صوتا وارى
ضوا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث
ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما راه وانه
كان كله في ابتدا امره وقبل لقا الملك له واعلام الله له انه رسوله فكيف وبعض
هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقايه الملك فلا يصح فيه ريب صواب ثبوت
ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحاق عن شيخه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يرقى من العين بمكه من قبل ان ينزل عليه الوحي فلما نزل عليه القران اصابه ما كان يصيبه

فقالت خديجة رضي الله عنها اوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة
واختبارها امر جبريل بكشف راسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتتحقق نبوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم وليختبر حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن
هشام عن ابيه عن عايشة ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم
انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك
قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت
ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به فهذا انها مستثبتة لما فعلته
لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه كي يتردى من شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل مرارا
لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل
على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه كما قال
تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية ويصحح معنى هذا التاويل حديث رواه شريك عن عبد
الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في
شان النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رايهم ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل
في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او
سبب منه فخشي ان يكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك
فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من
العذاب وقول الله في يونس عليه السلام فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه
قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه
انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد
وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على
الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات الله وكذلك قوله اذ ذهب
مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى ما امره الله به على لسان نبي اخر فقال
له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس
ان ارسال يونس ونبوته كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله وارسلناه

الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك [illegible]

ويستدل

ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه الآية فتكون
هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر
الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك
ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم بل اصل الغين في هذا ما
يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال
غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية بل هو غشاء رقيق وكذلك الغيم من
الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه
الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا
الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة
الحق بما كان النبي صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاسات البشر وسياسة الامة
ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة
وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم
ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص
راى قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى
صلى الله عليه وسلم حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من
رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى
ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه
وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير
طريق البلاغ على ما سياتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة
ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهو او فترة
الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه
بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة
التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم
عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف
للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن
وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ
شكرا لله وملازمة للعبودية كما قال افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة

يحتمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في
اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح صلى الله عليه وسلم فلا تسالن
ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من
قال في آية نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان
وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبيا
والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك
وليس في آية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح
قبلها فلا تسالن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج
الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتدا فنهاه الله ان يساله عما طوى عنه علمه
واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك
بقوله انه ليس من اهلك الايه وحكى معناه مكي كذلك امر نبينا في الايه الاخرى
بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر
حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي فلا تكونوا من الجاهلين
حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القران كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبيا
منهم بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم
شي من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك ان فعله
وتحذيره منه لقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الايه وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك الايه وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض وقوله
فان يشا الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه صلى الله عليه وسلم
لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ويتقول على الله ما لا
يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة
والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى
قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا ليشتد بصائرهم
في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهما خوف العدو والمضعف للنفس واما
قوله ولو تقول علينا وقوله اذا لاذقناك فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك

بو

لو كان من يفعله وهو لا يفعله وكذلك وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان
تطيعوا الذين كفروا الايه وقوله فان يشا الله يختم على قلبك وقوله لئن اشركت ليحبطن
الايه وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز
عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فليس فيه انه اطاعهم والله
نهاه عما يشاء وامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الايه وما كان طردهم صلى
الله عليه وسلم ولا كان من الظالمين **فصل** واما عصمتهم من هذا الفن
قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته
والتشكك في شي من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه
النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل باشراق انوار المعارف ونفحات الطاف
السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من
اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب
النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا
قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته
مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شي من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته
وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في
اباهم من مح
معبوده محتجين ولكان توبيخهم بنهيهم عما كان يعبد قبل ففي اطباقهم عن الاعراض
عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن
تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم كما حكاه الله عنهم وقد استدل القشيري القاضي على
تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الايه وبقوله واذ اخذ
الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد ان
ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز
عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون
ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ
الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت ولا يشبه عليك بقول ابرهيم في الكوكب
والقمر والشمس فانه كان في سن الطفولية وابتدا النظر والاستدلال وقبل لزوم
التكليف وذهب معظم الحذاق من العلما والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه
ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي

قال الزجاج قوله هذا ربي على قولكم كما قال أين شركاي أي عندكم ويدل على أنه لم يعبد
شيا من ذلك ولا أشرك بالله قط طرفة عين قول الله تعالى إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ثم
قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون الآية وقال إذ جاء ربه بقلب سليم أي من الشرك وقوله واجنبني
وبني أن نعبد الأصنام فإن قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي فقيل إنه لم يؤيدني بمعونته
أكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الإشفاق والحذر وإلا فهو معصوم
في الأزل من الضلال فإن قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم الآية ثم قال بعد
عن الرسل قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك
لفظ العود فإنها تقتضي أنهم يعودون إلى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في
كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا
قبل ذلك ومثله **قول الشاعر** فعادا بعد أبوالا وما كانوا قبل
ذلك فإن قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا
عن النبوة فهداك إليها قاله الطبري وقيل وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للإيمان وإلى إرشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك أي لا تعرفها
فهداك إليها والضلال هنا التحير ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلو بغار
حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى هداه الله إلى الإسلام قال معناه
القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك إليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي
ابن عيسى قال ابن عباس لم يكن له ضلالة معصية وقيل هدى أي بين أمرك بالبراهين
وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة وقيل المعنى ووجدك أي وجد بك
ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الأزل أي لا تعرفها
فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى أي اهتدى بك وقال
ابن عطاء ووجدك ضالا أي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال إنك لفي ضلالك
القديم أي محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا في الدين إذ لو قالوا ذلك في نبي الله
لكفروا ومثله عند هذا إنا لنراها في ضلال مبين أي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا
في بيان ما أنزل إليك فهداك لبيانه لقوله وأنزلنا إليك الذكر الآية وقيل ووجدك
لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء ولا أعلم أحدا من المفسرين
قال فيها ضالا عن الإيمان وكذلك في قصة موسى قوله فعلتها إذا وأنا من الضالين
أي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الأزهري من الناسين

وقيل

وقيل مثله في قوله ووجدك ضالا أي ناسيا كما قال تعالى أن تضل إحداهما فإن قلت فما معنى
قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان قال السمرقندي ما كنت تدري قبل أن نوحي إليك وقال بكر
القاضي مثله قال ولا الإيمان الفرائض والأحكام قال فقد كان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزل التكليف بالفرائض
التي لم يكن يدريها قبل فزاده ذلك إيمانا وكذلك الحديث الذي رواه عثمان بن أبي شيبة بسنده
عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه
أحدهما يقول لصاحبه اذهب بنا نقوم خلفه فقال الآخر كيف نقوم خلفه وعهده باستلام
الأصنام فلم يشهدهم بعد فقد أنكره أحمد بن حنبل هذا الحديث جدا وقال هذا موضوع
أو شبيه بالموضوع وقال الدارقطني إن عثمان وهم في إسناده فلا يلتفت إليه والمعروف
عنه صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله بغضت إلي الأصنام وقوله في الحديث
الآخر الذي روته أم أيمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد
كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص أبيض
طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وفي قصة بحيرا حين استحلف
النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى فقال لا تسألني بهما فما أبغضت شيئا قط بغضهما فوائد
وكذلك من توفيق الله له أنه كان قبل النبوة يخالف المشركين في وقوفهم بالمزدلفة في الحج
فكان يقف صلى الله عليه وسلم بعرفة لأنه موقف إبراهيم عليه السلام **فصل**
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء في التوحيد والإيمان والوحي
وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فأما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما
ويقينا على الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن
طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا في الباب
الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه المعارف
تختلف فأما ما يتعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة من عدم معرفة بعضها واعتقادها
أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة بالآخرة وأنبائها
وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني إن شاء الله تعالى انهم
ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله وهم المنزهون
عن ذلك بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم
ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا

الباب معلومة وحجتنا بذلك مشهورة واما ما كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح
من النبي الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل ذلك عنده عن وحي من الله
فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون
فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شي على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك
على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم براي فيما لم ينزل علي فيه
خرجه الثقات وكقضية اسرى بدر والاذن للمتخلفين على راي بعضهم فلا يكون ايضا
ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من
خالف فيه لا القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول
الآخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطا في الاجتهاد في
الشرعيات ولان القول في تخطية المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي
واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شي ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى
الله عليه وسلم قلبه واما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعيه فقد كان
لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيا شيا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي
من الله او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في
كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده صلى الله عليه وسلم
وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفا الجهل
وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشي من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ
لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات
والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور
الاخرة واشراط الساعة واحوال السعدا والاشقيا وعلم ما كان وما يكون
مما لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك
ولا ريب بل هو منه على غاية اليقين لكن لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل
ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله اني لا اعلم
الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وقول موسى عليه السلام للخضر هل اتبعك الاية وقوله صلى الله عليه وسلم
اسالك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله واسالك بكل اسم سميت
به نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي

علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله وهذا ما لا خفا به اذ معلوماته
تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي في التوحيد والشرع والمعارف
والامور الدينية

فصل

واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي من الشيطان
وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي
الحافظ ابو علي رحمه الله قال نا ابو الفضل بن خيرون العدل نا ابو بكر البرقاني وغيره
نا ابو الحسن الدارقطني نا اسمعيل الصفار نا العباس الترقفي نا محمد بن يوسف نا سفيان
عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه
من الملايكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم
زاد غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير وعن عايشة بمعناه روي بضم الميم اي فاسلم
انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل
من حال كفره الى الاسلام وصار لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه
بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله فاذا كان هذا حكم شيطانه
وقرينه المسلط على بني ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته فلا اقدر على
الدنو منه وقد جاءت الاثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفا نوره
واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه
له في الصلاة جا في الصحيح من حديث ابي هريرة ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق
في صورة هر الحديث الى قوله فرده الله خاسيا وفي حديث ابي الدردا ان ابليس عدو الله
جا بشهاب من نار ليجعله في وجهي وهو في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له
وذكر نحوه وفي حديث الاسرا وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ
منه ذكره في الموطا ولما لم يقدر على اذاه بمباشرة عمل الى غير ذلك كقصته مع قريش
بالايتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى
في غزوة بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
الاية ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه
من ضره وشره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجا
ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم حين لد
في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن

ولم يكن ليتسلط عليه فان قيل فما معنى قوله تعالى فاما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية فقد
قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي
يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد
كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ
ادنى الوسوسة فامره الله تعالى متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان اغراءه
وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون
سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد
قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس
عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي ان
ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان
يظهره الله لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى
قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية
اقاويل منها السهل والوعر والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه جمهور المفسرين
ان التمني هاهنا التلاوة والقى الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي
حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف
وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم الله اياته وسياتي الكلام
على هذه الاية بعد ما يشبع من هذا ان شاء الله وقد حكى السمرقندي انكار قول
من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد
ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال
ابو محمد مكي في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان اعلم انه لا يجوز لاحد ان يتاول
ان الشيطان امرضه والقى الضر في بدنه وليس ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم
[لذي اصابه] قال مكي وقيل ان الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع
عليه السلام وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه
وقول نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلاة ان هذا واد به شيطان وقول موسى
عليه السلام هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر
كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه
[انما هوم] رؤوس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانه شيطان وايضا ان قول يوشع

لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى وقيل قبيل نبوته وقول
موسى كان قبل نبوته بدليل القران وقصة يوسف كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في انساء
الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن اي انساه ان يذكر
للملك شان يوسف وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع
بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خاطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما
ما نسيا واما قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه
ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان انما كان في ذلك
الوادي على بلال الموكل بطلوع الفجر هذا ان جعلنا قوله هذا واد به شيطان تنبيها على
سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك
الصلاة به وهو دليل حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه
وارتفاع اشكاله **فصل** واما اقواله صلى الله عليه وسلم فقامت الدلائل الواضحة
بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من
الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا او غلطا اما تعمد الخلف في
ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة
اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحاق
الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة
النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف
بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فليعتمد على
ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام
بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير العمد ولا في
حالي الرضا والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب
كل ما سمعت منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول الا حقا ولنزد
[عليه م] ما اشرنا اليه من دليل المعجزة بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول
الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره
عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما
نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من

من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولا يصح ان يوجد منه
في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان ولو جوزنا الغلط والسهو
لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل والمعجزة مشتملة على تصديقه
جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله
واجب برهانا واجماعا قاله ابن اسحق

فصل

وقد توجهت ها هنا لبعض الطاعنين سوالات منها ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا
سورة النجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها
لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى
فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم
وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يتمنى ان ينزل عليه شي يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى
ان لا ينزل عليه شي ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض
عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال ما جيتك بهاتين فحزن النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية وقوله وان
كادوا ليفتنونك فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين
احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا
الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما
اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون
من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلا المالكي حيث قال لقد
بلي الناس ببعض اهل الاهوا والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف
نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول
انه في الصلاة واخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة واخر
يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها واخر يقول وقد اصابته
سنة واخر يقول حدث نفسه فيها واخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه
وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقراتك الى غير ذلك
من اختلاف الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين

لم

لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق فيها عنهم ضعيفة
واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر
البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز
ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن
سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك
ابو بكر البزار انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف
ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة
معه واما حديث الكلبي فلا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه
كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا والنجم بمكة فسجد وسجد معه الانس والجن هذا مع توهينه من طريق النقل
واما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم
ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه من مدح الهة غير الله فهو كفر
او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القران حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى
ينبهه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم او يقول
ذلك النبي من قبل نفسه عمدا وذلك كفر ومحال في حقه صلى الله عليه وسلم او سهوا
فهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته من جريان الكفر على
قلبه او لسانه لا سهوا ولا عمدا او يتشبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان
او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه
قال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقال تعالى ولو تقول علينا بعض
الاقاويل وقال اذا لاذقناك الاية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا
وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الاقسام ممتزج المدح
بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من صناديد
قريش من المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه
واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة
المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول
وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين

وقال الطبري ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال الشيطان على لسانه
وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من
الشيطان كل هذا لا يصح ولا يجوز عليه لا عمدا ولا سهوا ولا يتقوله عليه الشيطان على لسانه
وقيل لعله صلى الله عليه وسلم قاله اثنا تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار
كقول ابراهيم هذا ربي على احد التاويلات وقوله بل فعله كبيرهم هذا وذلك بعد السكت
وبيان الفصل والتفرقة دالا على انه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر
على هذا ما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل غير ممنوع في الصلاة والذي ظهر
ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
كما امره ربه يرتل القران ويفصل الاي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه
من دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم من الكفار فظنوها من قوله فاشاعوها ولم يقدح
ذلك عند المسلمين لحفظهم السورة على وجه ما انزلت وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه
وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه
وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الاية فمعنى تمنى تلا قال تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل هو ما
يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرا فيتنبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في
الاية انه صلى الله عليه وسلم حدث في نفسه وقد رواه ابو بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو
في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القران
بل السهو عن اسقاط اية او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به
على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا
ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى فان قلنا القصة لا يبعد
ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي
الغرانقة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله
القران اخبر عنهم البارئ تعالى وتقدس ورجا الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تاوله
المشركون على ان المراد بذلك الهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ
الله ذلك واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين التي وجد الشيطان بها سبيلا للتلبيس

غيرهم

تثبيته لذكرهم

والشماتة بعد العسه وارتد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة
فلم يحك احد شيئا في هذه القصة سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك
لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجج كما فعلوا في
قصة الاسراء مكابرة حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة
القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد
من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة
فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس او الجن هذا
الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة
لهذه القصة ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان يردان
الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا ليفتنونه حتى يفتري وانه لولا
ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته
حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون
والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم
الاية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الاية الاخرى
ولولا فضل الله عليك ورحمته الاية وقد روي عن ابن عباس كل ما في القران كاد فهو ما لا يكون
قال تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال
القشيري ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه
الايمان به ان فعل فما فعل وما كاد ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا
ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله صلى
الله عليه وسلم يرد سفسافها فلم يبق في الاية الا ان الله امتن على رسوله بعصمته
وتثبيته مما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته
صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية واما الماخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث
لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد اجاب ائمة المسلمين
باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روي قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم
اصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى الكلام على لسانه فهذا لا يصح اذ لا يجوز
على النبي مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه
في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي

ما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته وكان في انزال ذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء من عباده ويهدي من يشا وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة الاية الى بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتي بشي من ذمها فسبقوا بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القران لاية ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم حزن من كذبهم وخلطهم ذلك بالتلاوة وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بالاية وبين للناس الحق من الباطل وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو وقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا واعلم اكرمك الله انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعا ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع عنهم العذاب قال تعالى الا قوم يونس الاية وروي انهم راوا دلائل العذاب قال ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر وان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وقال لقريش انا كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول كل صواب وفي رواية فيقول له صلى الله عليه اكتب كذا فيقول له اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية لا توقع في قلب مومن ريبا اذ هي

حكاية عمن ارتد

عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بالكافر المفتري على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ذلك القول وانما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله الاية ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز النسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القران وانه من عند الله ليس فيه خلل ولو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول من قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق في اية ولا سورة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الاي وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قرناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما وجد ذلك في بعض مقاطع الاي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قراهما الجمهور معا وثبتتا في المصحف مثل ننشرها وننشزها ويقص الحق ويقض الحق فكل هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القران فيصف الله ويسميه في ذلك كيف شا

فصل

هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شي من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم

الى القدر في جميع احواله والبتة جميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شي وقعت وانه
لم يكن لهم توقف ولا تردد في شي منها ولا اشتباه عن حاله غير ذلك هل وقع فيها سهو ام
لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى
الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر
فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القسم قال عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره
واثاره وسيره وشمايله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شي منها استدراكه
عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شي اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من
رجوعه صلى الله عليه وسلم عما اشار به في تلقيح النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير
ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين الحديث وقوله
انكم تختصمون الى الحديث وقوله اسق يا زبير حتى سنبين كل ما في هذا من مشكل في الذي الباب
بعده ان شا الله تعالى مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شي من الاخبار
بخلاف ما هو عليه على اي وجه كان استريب في خبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله
في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلما الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسو
الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار
منه كبيرة مسقط للمروة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه
فيما يستشنع ويستبشع مما يخل بصاحبها ويزري بقايلها لاحقة بذلك واما فيما لا
يقع هذا الموقع فان عددناها من الصغاير فهل يجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف
فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ
والاعلام والتبيين وتصديق ما جا به النبي وتجويز شي من هذا قادح في ذلك ومشكك
فيه مناقض للمعجزة فلنقطع على يقين بانه لا يجوز على الانبيا خلف في قول في وجه من
الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو
فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم
واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر الى
احوال عصر النبي في قريش وغيرها من الامم وسوالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به ذلك
واعترافهم به بما عرف واتفق النقل على عصمته صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد
ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه فان قلت

فما معنى حديث السهو حديث ذي اليدين فاخبر صلى الله عليه وسلم بنفي الحالتين بقوله
صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث وانما
لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا
الله واياك ان للعلما في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف
والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من
القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما
على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة
النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد
هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه
واما على احالة السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها
ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق ظاهرا
وباطنا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه
قصد الخبر بهذا عن ظنه وانه لم ينطق به وهذا صدق ايضا ووجه ثان ان قوله لم
انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس
السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم
وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما
ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت
هذا ما رايت فيه لايمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر
منها قال المولف رحمه الله والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها
ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بيسما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر
لست انسى ولكن انسى فلما قال له السايل اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان
ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شي من ذلك فقد نسي حتى سال غيره
فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق
لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه
قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان
النسيان غفلة وافة والسهو انما هو شغل قال فكان صلى الله عليه وسلم يسهو عن صلاته ولا

فلا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها
فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قول واما
قصة ابراهيم عليه السلام عن الكذبات الثلاث المذكورة في القران منها اثنتان
قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك انها اختي عن زوجته فاعلم
اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة
في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم قال الحسن وغيره
معناه ساسقم اي كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر بذلك عن الخروج معهم الى عيدهم
وقيل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهد من كفركم وقيل كانت
تاخذه الحمى عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح
وقيل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يعبدونها
وقيل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك ولا ضعف ايمانه
ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول
حتى الهمه الله الاستدلال وصحت حجته عليهم بالكوكب والقمر والشمس وما تقدم بيانه
واما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط ان كان ينطق فهو فعله
على طريق التبكيت لقومه وهذا صادق ايضا ولا خلف فيه وقوله في الحديث اختي
فاخته في الاسلام كما في الحديث وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان
قد سماها في الحديث كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات وفي حديث الشفاعة
ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه
الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابرهيم صلى الله عليه وسلم بمؤاخذته
بها واما الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها
فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه اهبته وحذره وكتم
وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه
يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول
ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قيل فما معنى قول موسى صلى الله عليه وسلم وقد سال
اي الناس اعلم قال انا اعلم فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل
عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبا الله انه ليس كذلك واعلم انه وقع في هذا
الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على

علمه

علمه فهو خبر صدق وحق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده
كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفا يقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا على اعتقاده
وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد
وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام
الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم والخضر اعلم
على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه اذ لم
يرد العلم الى الله كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك
والله اعلم لان لا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته
فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى
وان نزه عن هذه الرذايل الانبيا فغيرهم على درجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله
فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا
مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القايلين بنبوة الخضر
عليه السلام لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبيا فيتفاضلون
في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان
يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمان موسى نبي غيره الا اخاه هرون
وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم
وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ
كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم من موسى فيما دفع اليه وقال اخر
انما الجي موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم **فصل** واما ما يتعلق
بالجوارح من الاعمال فلا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه
الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به
فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكباير الموبقات ومستند الجمهور
في ذلك الاجماع المذكور وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع
وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من
كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع
على ذلك من الكافة واما الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو
مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا

ما احتجوا به وذهبت طايفه اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم
يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طايفه اخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين
الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس في الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك
وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيره وانما سمي منها الصغير بالاضافه الى
ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يوجب كونه كبيره قال القاضي ابو محمد
عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله صغيره الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكباير
ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا يحبطها شي والمشيه في
العفو عنها الى الله وهو قول القاضي ابو بكر وجماعة ايمة الاشعريه وكثير من ايمة
الفقها وقال بعض ايمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار
الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا في صغيره ادت الى ازالة الحشمه واسقطت
المروه واوجبت الازرا والخساسه فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبيا اجماعا لان مثل هذا يحط
منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبيا منزهون عن ذلك بل
يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى
الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم
وسيرهم مطلقا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب ملك والشافعي وابي حنيفه من غير التزام
قرينه بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو
الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول
اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعيه واكثر الشافعيه
على ان ذلك ندب وذهبت طايفه الى الاباحه وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور
الدينيه وعلم به مقصد القربه ومن قال بالاباحه في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا
عليهم الصغاير لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده
به من القربه او الاباحه او الحظر او المعصيه ولا يصح ان يومر المرء بامتثال امر لعله
معصيه لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا
حجه بان نقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون على انه لا يقر
على منكر من قول او فعل وانه متى راى شيا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على
جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا الماخذ
تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل اذ الحظر او الندب على الاقتدا بفعله

وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا

ففي حوا[illegible]

بناني

بنافي النهي والزجر عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابه قطعا الاقتدا بافعاله
صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتدا باقواله فقد نبذوا خواتيمهم
حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برويه ابن عمر اياه جالسا لقضا حاجته
مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شي مما بابه العباده او العاده
بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا خبرتيها اني اقبل وانا صايم
وقالت عايشه رضي الله عنها محتجه كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله
ما يشا وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بالله وبحدوده والاثار في هذا اعظم من ان نحيط
عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداهم بها ولو جوزوا عليه
المخالفه في شي منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام
على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجايز وقوعها منهم اذ ليس
فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطه عليها الا انهم بما خصوا به
من رفيع المنزله وشرحت له صدورهم من انوار المعرفه واصطفوا به من تعلق بالهم
بالله والدار الاخره لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك
طريقهم وصلاح دينهم وضروره دنياهم وما اخذ على هذا السبيل التحق طاعه وصار
قربه كما بينا منه اول الكتاب طرفا من خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك
عظيم فضل الله على نبينا وعلى ساير انبيايه عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات
وطاعات بعيده عن وجه المخالفه ورسم المعصيه **فصل** وقد اختلف
في عصمتهم من المعاصي قبل النبوه فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح تنزيههم
من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسله تصورها كالممتنع فان المعاصي
والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله عليه
وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعه لم يكن متبعا
لشي وهذا قول الجمهور والمعاصي على هذا القول غير موجوده ولا معتبره في حقه حينيذ
اذ الاحكام الشرعيه انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعه ثم اختلفت حجج
القايلين بهذه المقاله عليها فذهب سيف السنه ومقتدى طرق الامه القاضي
ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان
ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العاده اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل

به من شريعته ولعجزته اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شي من ذلك جملة وذهبت طايفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشي في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شي من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبيا فلزمت شريعته من جا بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وللاخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى منهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف عليه السلام على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في ساير الانبيا غير نبينا صلى الله عليه وسلم او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلزمه بمساق حجته في كل نبي

وقع هنا

فصل هذا حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذة عليه فاحوال الانبيا في ترك المواخذة به وكونه ليس معصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلما حكم السهو

في

في القول وهذا الباب فقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا وسهوا وكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق الاسفرايني وذهب الاكثر من الفقها والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جايز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه صلى الله عليه وسلم سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام اني لا انسى او انسى لاسن وقد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واعتراض الطعن فان القايلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه على الفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علما الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعدا ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شي يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طايفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شا الله

فصل في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز عليه فيه السهو صلى الله عليه وسلم وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي بيناه واشرنا الى ما ورد

في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم
في الصلاة ثلاثة أحاديث أولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث
ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى
الظهر خمسًا وهذه الأحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به إذ
البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال وشرطه أنه لا يقر على السهو بل
يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمنا فإن النسيان والسهو
في الفعل في حقه غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقال صلى الله عليه وسلم
إنما أنا بشر الحديث وقال رحم الله فلانًا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى
أنسيتهن وقال إني لأنسى أو أنسّى لأسن قيل هذا اللفظ شك فيه الراوي وقد روي إني لا
أنسى ولكن أنسّى لأسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار أنه ليس بشك وأن معناه
التقسيم أي أنسى أو ينسيني الله قال القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه أن يريد
إني أنسى في اليقظة وأنسّى في النوم أو أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء
والسهو وأنسّى مع إقبالي عليه وتفرغي له فأضاف أحد النسيانين إلى نفسه إذ
كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه إذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة
من أصحاب المعاني والكلام على الحديث إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في
الصلاة ولا ينسى لأن النسيان ذهول وغفلة وهو منزه عن ذلك والسهو شغل
وكان صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة
شغلًا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله إني لا أنسى وذهبت طائفة إلى منع هذا كله عنه
وقالوا إن سهوه كان عمدًا وقصدًا وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه
بطائل لأنه كيف يكون متعمدًا ساهيًا في حال ولا حجة لهم في قولهم إنه أمر بتعمد صورة
النسيان ليسن لقوله إني لأنسى أو أنسّى وقد أثبت أحد الوصفين ونفى مناقضة التعمد
والقصد وقال إنما أنا بشر أنسى كما تنسون وقد مال إلى هذا عظيم من المحققين وهو
أبو المظفر الإسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا أرتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين
في قوله إني لا أنسى ولكن أنسّى إذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وإنما فيه نفي لفظه
كقوله بئسما لأحدكم أن يقول نسيت الحديث أو نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الصلاة
عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى
خرج الوقت وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل إن الذي

ترك

ترك يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب
إلى جواز تأخير الصلاة في الخوف إذا لم يتمكن من أدائها إلى وقت الأمن وهو مذهب الشاميين
والصحيح أن حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فإن قلت فما تقول في نومه صلى
الله عليه وسلم يوم الوادي وقد قال إن عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم أن للعلماء
عن ذلك أجوبة منها أن المراد بأن هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الأوقات
وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التأويل قوله صلى الله
عليه وسلم إن الله قبض أرواحنا وقول بلال فيه ما ألقيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا
إنما يكون منه لأمر يريده الله من إثبات حكم وتأسيس سنة وإظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر
لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد أن يكون لمن بعدكم الثاني أن قلبه لا يستغرقه النوم
حتى يكون منه الحدث فيه لما روي أنه كان محروسًا وكان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع
غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه صلى الله عليه وسلم
ونومه مع أهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة الأهل
أو لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث ثم نام حتى سمعنا غطيطه ثم أقيمت الصلاة فصلى
ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه لأجل الوحي في النوم وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه
عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال إن الله قبض أرواحنا الحديث
فإن قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح فالجواب
أنه كان من شأنه التغليس بالصبح ومراعاة أول الوقت لا يصح ممن نامت عينه إذ هو
ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالًا بمراعاة ذلك ليعلمه كما لو شغل بشغل غير ذلك
عن مراعاته فإن قيل فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن القول نسيت وقال إني لأنسى
كما تنسون الحديث فاعلم أنه لا تعارض في هذه الألفاظ أما نهيه عن أن يقال نسيت آية
كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة من هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره إليها
ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من قبيل السهو والغفلة من قبله تذكرها صلح فيه أن يقال أنسي وقد
قيل إن هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه
والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه وإسقاطه صلى الله عليه وسلم لما أسقط
من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما أمر بتبليغه وتوصيله إلى عباده ثم استذكرها
من أمته أو من قبل نفسه إلا ما قضى الله سبحانه وتعالى نسخه ومحوه من القلوب وترك
استذكاره وقد يجوز أن ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه سبيله كرة ويجوز أن

تلبسه منه قبل البلاغ ما لا يخبر بخطا ولا يخلط حتما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل
دوام نسيانه لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه **فصل** في الرد على من اجاز عليهم
الصغاير والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبيا من الفقها والمحدثين
ومن تابعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا بظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا ظاهرها
افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل السلف بخلاف ما التزموه
واذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطاهم وصحة
غيره وجب تركه والمصير الى ما صح منها ان شا الله فمن ذلك قوله تعالى ليغفر لك الله الاية
وقوله واستغفر لذنبك الاية وقوله ووضعنا عنك وزرك وقوله عفا الله عنك وقوله لولا
كتاب من الله سبق وقوله عبس وتولى الايات وما قص من قصص غيره من الانبيا كقوله
وعصى ادم ربه الاية وقوله فلما اتاهما صالحا الاية وقوله عن ادم ربنا ظلمنا انفسنا الاية وعن
يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من قصة داود وقوله وظن داود الاية
وقوله ولقد همت به وهم بها وقصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه الاية وفي
دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت الحديث ونحو ذلك من ادعيته
وذكر الانبيا ذنوبهم في الموقف وقوله انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله الحديث وقوله
تعالى عن نوح عليه السلام والا تغفر لي الاية وقال ابراهيم عليه السلام والذي اطمع ان يغفر
لي خطيئتي الاية وقول موسى تبت اليك وقوله تعالى ولقد فتنا سليمن الاية الى ما اشبه
هذه الظواهر فاما قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا اختلف المفسرون
فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور
له وقيل المراد امته وقيل ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري
وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطا
وبمثله والذي قبله يتاول قوله واستغفر لذنبك الاية قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم
هنا مخاطبة امته وقيل لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل
الله ليغفر لك الله الاية وبمال المومنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية
انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئته من العيوب
واما قوله ووضعنا عنك وزرك الاية فقيل ما سلف قبل النبوة وهو قول زيد والحسن
ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى

معناه

معناه السمرقندي وقيل المراد ثقل ما انقض ظهره من اعبا الرسالة حتى بلغها حكاه السمرقندي
الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك
وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت
بحفظنا لما استحفظت وحفظت عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من
جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه
بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته
من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه
من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله
عنك الاية فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه نهي فيعد معصية ولم يعده اهل العلم معاتبة
وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا
وقد كان له ان يفعل ما شا فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال تعالى فاذن لمن شئت
منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا
حرج عليه فيما فعله وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم
عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال
وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك
اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك
الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسرى بدر ما كان لنبي الاية
فليس فيه الزام ذنب بل فيه بيان ما خص به صلى الله عليه وسلم وفضل من بين سائر الانبيا
فكانه قال ما كان هذا لنبي قبلك كما قال احلت لي الغنائم الحديث فان قيل فما معنى قوله
تريدون عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا
وحده والاستكثار منها وليس المراد به النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن
الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن
القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق الاية فاختلف
المفسرون في معنى الاية فقيل لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فحصل
الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مومنين
بالقران وانتم ممن احلت لكم الغنائم لعوقبتم وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال

حلالا كم لعو نبيتم فهذا كله في الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى
فكلوا مما غنمتم الاية وقيل بل كان صلى الله عليه وسلم خير في ذلك وقد روي عن علي
رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسرى
ان شاؤوا الفدا وان شاؤوا القتل على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل
وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين
مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب
اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله صلى الله
عليه وسلم لو نزل من السما عذاب ما نجا منه الا عمر ومثله وغير عمر لانه اول من اشار
بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر
بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن انه صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا
دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلا
اخبر الله نبيه في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفدا
وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن
كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل
على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم
قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله
اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على
وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى
الايات فليس فيه اثبات ذنب بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب
والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم
لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله
له لا معصية ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر
الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس
وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة ادم
عليه السلام فقوله فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة الاية وقوله الم
انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه اي
جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله فنسي قال ابن زيد نسي عداوة ابليس
له

[illegible]

له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الاية فقيل نسي ذلك بما اظهر
لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا
لها ولكنهما اغترا بالحلف وتوهما انه لا احد يحلف بالله كاذبا وقد روي عذر ادم بمثل هذا
في بعض الاثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمومن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو
المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم
والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا ضعيف لان خمر الجنة لا يسكر كما في النص فاذا
كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك اذا كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي
والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك
قبل النبوة ودليله ثم اجتباه بعد اكل الشجرة وقيل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة
نهاه ربه عنها لانه ظن ان النهي عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة
من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد
قال تعالى وعصى ادم وقال فتاب عليه وفي حديث الشفاعة ويذكر ذنبه فيستحيي
عنه وعن اشباهه مجملا اخر الفصل ان شا الله واما قصة يونس عليه السلام فمضى الكلام
على بعضها وليس في قصة يونس نص على ذنب انما فيه ابق وذهب وقيل انما نقم الله عليه خروجه
عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف
عن اعباء الرسالة وكذلك ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله
ابق قال المفسرون تباعد وقوله اني كنت من الظالمين والظلم وضع الشي في غير موضعه
فهذا اعتراف منه بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما
حمله او لدعائه بالعذاب وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يواخذ وقال الواسطي في معناه نزه
ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثله قول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا
اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة الى الارض واما
قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب
الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شي من ذلك ولا ورد في حديث صحيح
والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن ماب وقوله فيه اواب فمعنى
فتناه اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد
داود على ان قال للرجل انزل لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه
وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقيل خطبها على خطبته

وقيل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك وظلمه بقول خصمه والى نحو ما اضيف في الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد ابن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم واما قصة يوسف عليه السلام واخوته فليس على يوسف منها تعتب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبيا قال المفسرون يريد من نبي من ابنا الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ذلك كانوا صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا يرتع ويلعب فبعد هذا والله اعلم واما قوله ولقد همت به وهم بها لولا ان فعلى مذهب كثير من الفقها والمحدثين ان هم النفس لا يواخذ به العبد وليست سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة الحديث فلا معصية اذا في ذلك واما على مذهب المحققين من الفقها والمتكلمين اذا وطنت عليه النفس سيئة وما لم توطن عليه فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شا الله هم يوسف من هذا واما قوله وما ابري نفسي الاية اي ما ابريها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبري فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقد قال تعالى يحكى عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السو والفحشا وقال معاذ الله انه ربي احسن مثواي قيل ربي الله وقيل الملك قيل هم بها ان يضربها ويدفعها وقيل همه بها اي عنها امتناعه عنها وقيل نظر اليها وقيل همه بضربها ودفعها وقيل هذا كله قبل النبوة وقد ذكر بعضهم ما زال النسا يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واما موسى عليه السلام فقد قال تعالى فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يومر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريد للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته

وفتناك

وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلا بعد ابتلا قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاوه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح ان ملك الموت جاه فلطم عينه ففقاها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز لان موسى عليه السلام دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه مدافعة اذت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور بها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد وعلم انه رسول الله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد تاوله قديما ابن عايشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقا عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان عليه السلام وما حكاه اهل التفسير وقوله ولقد فتنا سليمان اي ابتليناه وابتلاؤه هو ما في الحديث لاطوفن الليلة الحديث بطوله قال اصحاب المعاني الشق الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهو محنته وعقوبته فقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبيا من مثله وان سيل لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان شا الله فعنه اجوبة اشدها ما روي في الحديث انه نسي ان يقول وذلك لينفذ امر الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل سليمان ذلك غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من الانبيا بخواص وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على

[illegible]

نبوته كالانه الخليل لابيه واحيا الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وعليهم بالشفاعة
ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام فظاهره العذر وانه اخذ فيها بالتاو
وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوى عنه
من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله له انه ليس من اهله الذين وعدهم بنجاته ودلك
لكفره وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم واشفق نوح من اقدامه
على ربه لسواله ما لم ياذن له في السوال فيه وكان نوح على ما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه
وقيل في الايه غير هذا فكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه
بالسوال فيما لم يوذن له فيه ولا نهي عنه وما روى في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة
الحديث فليس في الحديث ان هذا الذي اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا بقتل من
يوذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة
فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله ما
يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو
خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه
وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امرا نهي عنه
فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله
اعلم

فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب
والمعاصي بما ذكرت من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم
ربه فغوى وما تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبيا بذنوبهم وتوبتهم
واستغفارهم وهل يشفق ويستغفر ويتاب من غير شي فاعلم وفقنا الله واياك
ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه
وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ
به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا
بسببها او حذروا من المواخذة بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا
المباحة خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبه
الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشي الدني الرذل
ومنه ذنب كل شي اخره واذناب الناس رذالتهم وكان هذه ادنى افعالهم واسوا ما يجرى
من احوالهم لتطهيرهم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر

والخفي

والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكباير والقبايح
والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات
الابرار سيات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيات وكذلك العصيان
الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك
وقوله غوى اي جهل ان الشجرة المنهي عنها وقيل اخطا ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت
امنيته وهذا يوسف صلى الله عليه وسلم قد اخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك
فانساه الشيطان الايه قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره
لسيده قال صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار
لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب
انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يواخذ الانبيا بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده
ويجاوز عن ساير الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوه من سو الادب وقد
قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبيا يواخذون على هذا
مما لا يواخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم في
هذا اسوا حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المواخذة في هذا
على حد مواخذة غيرهم بل نقول انهم يواخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في
درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم
اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك وقال بعد قول موسى
تبت اليك اني اصطفيتك على الناس الايه وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته
فسخرنا له الريح الى وحسن ماب وقال بعض المتكلمين زلات الانبيا في الظاهر زلات
وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو ما قدمته وايضا فلينبه غيرهم من البشر
منهم او ممن ليس في درجتهم بمواخذتهم في ذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا
النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود
بسطة للتوابين قال ابن عطا لم يكن ما نص الله من قصة يونس نقصا له ولكن استزادة
من نبينا صلى الله عليه وسلم وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران
الصغاير باجتناب الكباير ولا خلاف في عصمة الانبيا من الكباير فما جوزتم من وقوع
الصغاير عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المواخذة بها اذا عندكم وخوف الانبيا

ونبوتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو حول بيا عن المواخذة بافعال
السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته ومن وغيره م
الانبيا على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه
كما قال عليه السلام وقد امن من المواخذه بما تقدم وما تاخر افلا اكون عبدا شكورا
وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحرث بن اسد خوف الملايكة خوف اعظام
وتعبد لله لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم وليستن بهم اممهم كما قال
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم الحديث وايضا في الحديث فان في التوبة والاستغفار
معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة الله قال تعالى ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبيا الاستغفار والتوبة والانابة
والاوبة في كل حين استدعا المحبة لله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار الايه وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه
السلام عن الجهل بالله وصفاته وكونه على حالة تنافي العلم بشي من ذلك كله جملة بعد
النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشي مما قررناه من امور الشرع وادّاه عن
ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله تعالى
وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا
وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن
استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته
في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد
عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فايدتها وخطرها
فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان
يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما يجب ان لا يضاف اليه فيهلك من
حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد
ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط صلى الله عليه وسلم على الرجلين
اللذين راياه ليلا ومعه صفية الحديث هذه اكرمك الله احد فوايد ما تكلمنا عليه في
هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيا منها يرى ان الكلام فيها جملة
من فضول العلم

وفقه محله رواه البخاري سياله

من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفوايد التي ذكرناها
وفايدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه ويبنى عليها مسايل لا تعد من الفقه ويتخلص
بها من تشعب مختلفي الفقها في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم
وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي في اخباره
وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم
في وقوع الصغاير وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم ولا نطول
به وفايدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيا
من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه
والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او
مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة النبي صلى
الله عليه وسلم وليسُل هذا ما قد اختلف فيه ارباب الاصول وايمة العلم والمحققين
من عصمة الملايكة

فصل في القول في عصمة الملايكة اجمع المسلمون
ان الملايكة مومنون فضلا واتفق ايمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين
في العصمة سوى ما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبيا والتبليغ اليهم كالانبيا
مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طايفة الى عصمة جميعهم واحتجوا
بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وبقوله لا
يستكبرون عن عبادته وبقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحو ذلك
من الايات وذهبت طايفة الى تخصيص المرسلين منهم بهذا الوصف والمقربين
واحتجوا باشيا ذكرها المفسرون واهل الاخبار والصواب عندنا ان شا الله
عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن ذلك ورايت بعض شيوخنا اشار الى
ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام
في عصمة الانبيا من الفوايد التي ذكرناها سوى فايدة الكلام في الاقوال والافعال
فهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من لم يوجب العصمة قصة هاروت وماروت
اعلم انه لم يرو من الاخبار فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سقيم ولا صحيح
ولا هو مما يوخذ بقياس والذي منه في القران اختلف اهل التفسير في معناه وانكر ما قال
فيه بعضهم كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترايهم
كما نصه الله اول الايات من افترايهم على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة

على شنع عظيمه وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف المشكلات ان شا الله فاختلف اولا في
هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراه
ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافيه او موجبه فاكثر
المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن
تعلمه كفر ومن تركه امن قال تعالى انما نحن فتنه فلا تكفر وتعليمهما الناس تعليم انذار
اي يقولان لمن جا يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه و لا
تتخيلوا بكذا فانه سحر ولا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعه وتصرفهما فيما امرا
ليس بمعصيه وهي لغيرهما فتنه وروي ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر
عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم
وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما
عن تعلم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطه ان يبينا
انه كفر وانه امتحان من الله وابتلا فكيف لا ينزههما عن كباير المعاصي والكفر المذكور
في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافيه وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير
الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم
في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكايل ادعى اليهود عليهما
المجي به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله تعالى ولكن الشياطين
كفروا وقيل هاروت وماروت رجلان تعلماه قال الحسن هما علجان من اهل بابل وقرا
وما انزل على الملكين بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نافيا
على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرايل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراه
بكسر اللام شاذه فحمل الايه على تقدير ابي محمد مكي تنزه الملايكه وتذهب الرجس
عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكما عدد اولا ومما
يذكرونه في قصه ابليس لعنه الله وانه كان من الملايكه ورييسا فيهم ومن
خزان الجنه وغير ذلك وان الله استثناه من الملايكه بقوله فسجدوا الا ابليس
وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثرون ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان ادم ابو
البشر وهو قول الحسن وقتاده وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن
الذين طردتهم الملايكه في الارض حين افسدوا والاستثنا من غير الجنس سايغ
في كلام العرب سايغ وقد قال تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما

رووه في الاخبار ان خلقا من الملايكه عصوا الله امره ان يسجدوا لادم فابوا
فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من ذكره الله الا ابليس في اخبار لا اصل
لها ترده هنا صحاح الاخبار فلا نشتغل بها والله اعلم

الباب الثالث

فيما يخصهم من الامور الدنيويه ويطرا عليهم من العوارض البشريه قد
قدمنا انه صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا والرسل من البشر عليهم السلام
يجوز عليهم من الافات والتغيرات والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما
يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصه لان الشي انما يسمى ناقصا بالاضافه الى ما
هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على اهل هذه الدار فيها يحيون
وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجه الغير فقد مرض صلى الله عليه
وسلم واشتكى واصابه الحر والبرد وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر
وناله الاعيا والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه
الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ
فقضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان
والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبيا ما هو اعظم
منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك
في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس
فلين لم يكف نبينا ربه يد ابن قميه يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند
دعوته اهل الطايف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف
غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقه ولين لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه
ما هو اعظم من سم اليهوديه وهكذا ساير انبيايه مبتلى ومعافى وذلك من تمام
حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق
بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لييلا يضلوا بما يظهر
من العجايب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنهم تسليه لاممهم
ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه
الطواري والتغييرات المذكوره انما تختص باجسامهم البشريه المقصود بها
مقاومه البشر ومعاناه بني ادم لمشاكله الجنس واما بواطنهم فمنزهه غالبا عن ذلك
معصومه منه متعلقه بالملا الاعلى والملايكه لاخذها عنهم وتلقيها الوحي

الوحي منهم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم
اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه
وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم
لا يحل منها شي باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن فهو في نومه حاضر القلب كاليقظة
حتى جا في بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان وغيره اذا جاع
ضعف جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام لا يعتريه ذلك
للحديث المتقدم فكذلك اقول انه في هذه الاحوال من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر
على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر
مما ياخذ بعد في بيانه **فصل** فان قلت قد صح انه سحر كما في البخاري من حديث
عائشة رضي الله عنها الحديث بطوله واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف
حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك
ان الحديث صحيح وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على
امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في امره لبسا وانما
السحر مرض وعارض من العلل يجوز عليه كالامراض مما لا ينكر ولا يقدح في صدقه لقيام
الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم
يبعث بسببها ولا فضل لاجلها وهو فيها عرضة للافات كسائر البشر فغير بعيد
ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الحديث حتى
يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن وقد قال سفيان هذا اشد ما يكون من السحر ولم يات
في خبر انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت
خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يخيل اليه الشي انه فعله وما فعله
تخييلا لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة هذا
ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه
بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تاويل اجلى وابعد
من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث
عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا
فاستخرجه من البير وذكر عن عطا الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه

عن

عن عايشة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث
قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة خاصة سنة حتى انكر بصره
وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن الطعام والشراب
والنسا فهبط عليه ملكان الحديث فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما
تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطي
نسايه مثل ما تقدم ويكون معنى يخيل اليه اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على
النسا فاذا دنا منهن اخذته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل
هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عايشة في الرواية الاخرى
انه ليخيل اليه من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه
او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشي
طرا عليه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابته بالسحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا
ولا يجد به الملحد المعترض انسا **فصل** هذه حاله في جسمه فاما احواله
في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد
في الدنيا الشي على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما في
حديث رافع بن خديج قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يلقحون النخل فقال
لو تركتم الحديث بطوله الى قوله انتم اعلم بامر دنياكم وفي رواية انما انا بشر اذا امرتكم بشي
من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشي من رايي فانما انا بشر وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من
قبل نفسي فانما انا بشر اخطي واصيب هذا على ما قررناه فيما قاله من نفسه في امور الدنيا وظنه قبل
من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق
انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله
ام ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى ناتي ادنى
ما من القوم فننزله ثم نعور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالراي وفعل
ما قاله وقد قال له الله وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار
الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم
ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه اذ ليس فيما ذكرناه نقيصة انما هي امور اعتيادية
يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب

الدنيوية ملأى الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية
ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة
الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم
من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد
نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب **فصل** واما ما يعتقده في امور احكام
البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه
السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي الحديث وفي رواية الزهري عن عروة
فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه السلام
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه
ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فان الله تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر
عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف
او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله
واحواله ومقاطعه واحكامه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة
سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته
لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذن في ذلك بالمكنون من اعلام الله
له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم
التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل
احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه
بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان
واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك
حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم
الغيب الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فيعلمه منه بما شاء ويستاثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته
فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله
او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو
او صحة او مرض او رضا او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا
فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف

باطنها

باطنها فجائز وروده منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه
مغازيه لئلا ياخذ العدو حذره وما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب
قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة
وقوله للمراة التي سالته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان
بعينه بياض وقد قال اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر
واما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا
ولا يجوز ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال ما كان لنبي ان تكون
له خائنة اعين فكيف ان تكون له خائنة قلب فان قلت فما معنى قوله تعالى واذ
تقول للذي انعم الله عليه الآية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما
ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن الحسين ان الله
تعالى اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك
زوجك واتق الله واخفى في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله
مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال
نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش
فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا
اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها
فدل انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى ما كان على
النبي من حرج الآية فدل على انه لم يكن عليه في ذلك حرج قال الطبري ما كان الله ليؤثم
نبيه فيما احل له مثال فعل من قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما
احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم
عندما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه
لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه
ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله
وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته
وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم
وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم لها لازالة

حرمة النبي وابطال سنة ما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال الكيا لا يكون على المومنين
حرج الاية ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي قال قيل فما الفايدة في امره صلى الله
عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته فنهى النبي صلى الله عليه وسلم لزيد عن
طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي صلى الله عليه وسلم قول الناس
تزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها ليباح ذلك لامته كما قال لكيلا الاية وقد قيل كان
امره لزيد بالامساك قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاة
ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم ونظرة الفجاة معفو عنها ثم قمع نفسه وامر
بالامساك وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي
ابن الحسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطا وصححه واستحسنه القاضي القشيري
وان خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم
على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلايل الابنا فعتبه الله عليه
ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عاتبه على مراعاة رضى ازواجه بقوله لم تحرم
الاية كذلك ها هنا وقد روي عن الحسن وعايشة لو كتم رسول الله شيا لكتم هذه
الاية لما فيها من عتبه وابدا ما اخفاه **فصل** فان قلت قد تقررت عصمته
صلى الله عليه وسلم في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلاف ولا اضطراب
في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث
الذي رواه عبد الله بن عبد الله بن عباس قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي البيت رجال فقال هلموا اكتب لكم الحديث بطوله الى قوله فان الذي انا فيه خير وفي بعض
طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وروي اهجر وفيه فقال عمر ان النبي قد اشتد به
الوجع الحديث قال ايمتنا في هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم
من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرا على
جسمه وهو معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويودي الى
فساد في شريعته من هذيان واختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من
روى في الحديث هجرا ومعناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا
افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال
لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في الصحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي

بخطه

بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان عن غيره وقد
تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول
القايل هجر او اهجر دهشة من قايل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله
عليه وسلم وشدة وجعه وهو المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب
فيه حتى لم نضبط هذا القايل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد
انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس
ونحو هذا واما على رواية اهجر وهي رواية ابي اسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن
ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم
وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلما
في هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم بان ياتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله
عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقراين فلعل قد ظهر من قراين قوله صلى الله
عليه وسلم لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم
لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزمة ولما راوه من صواب
راي عمر ثم هاولا قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه
في تلك الحال املا الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي اشتد به
الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى
ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون
المصيب والمخطي ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله قال
اليوم اكملت لكم دينكم الاية وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله وعترتي
وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب ذلك الكتاب في الخلوة
وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعا الرافضة الوصية وغير ذلك وقالت طايفة
اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب
منه لا انه ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك
غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق
بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله
والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير

من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابه امر
الخلافة بعده وتعيين ذلك **فصل** فان قيل فما وجه حديثه صلى الله عليه وسلم
في حديث ابي هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب
كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مومن اذيته او سببته او
جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت عليه
دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته
فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح هذا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يلعن ذلك من
لا يستحق او يسب او يجلد ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك
ان قوله اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر
كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم صلى الله عليه وسلم عليه بما اقتضاه عنده حاله الظاهر ثم
دعا له لشفقته على امته ورافته ورحمته كما قال تعالى بالمومنين روف رحيم فهو معنى
قوله ليس لها باهل لا انه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لا
ان يفعل هذا بمن لا يستحقه من مسلم فهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب
البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله
على معاقبته باللعنة والسب وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير
بينهما وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي
حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير
موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة
كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغير ذلك وقد ورد في
صفته في غير حديث انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا وقال انس لم يكن سبابا
ولا لعانا ولا فاحشا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه فيكون
حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما
في الحديث وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من
استشعار الخوف والحذر من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه
ما يحمله على الياس والقنوط وقد يكون ذلك سوالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق
وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان يكون دعاوه
له ومن ناسبه العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر من اصاب من ذلك شيا

الحديث

الحديث فان قلت فما معنى حديث الزبير في مخاصمته للانصاري الحديث الجواب ان النبي
صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم
ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض
وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على
هذا باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث
فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث
اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه
وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه صلى الله عليه وسلم في حال الرضا
والغضب سواء لعصمته وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا
لنفسه كما في الحديث الصحيح وكذلك قصة عكاشة قال له وضربني بالقضيب فلا ادري
اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك يا عكاشة ان
يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي
حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان
صلى الله عليه وسلم قد ضربه لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى وهو صلى الله عليه
ينهاه ويقول له يدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث وهذا منه ان يقف عند
نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر
حتى عفا عنه واما حديث ابن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق
فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص
يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه بالقضيب لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب
الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصد طلب التحلل منه على ما قدمناه **فصل**
واما افعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي
والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله
غير قادح في النبوة بل ان هذا على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب
بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ
منها لنفسه الا الضرورة وما يقيم به رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد
ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف
يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد او قهر معاند

ومداراته حاسده وحمله هذا الاخر بصالح اعماله منتظم في زاكي وظايف عباداته وقد
كان يخالف في افعاله الدنيويه بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها
فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحله ويركب البغله في معارك الحرب
دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابه الصارخ وكذلك في
لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل
من امور الدنيا مساعده لامته وسياسة وكراهة لخلافها وان كان قد يرى غيره
خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينيه مما له الخيره في احد وجهيه كخروجه
من المدينه لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين
من امرهم موالفه لغيرهم ورعايه للمومنين من قرابتهم وكراهة ان يقول الناس
ان محمدا يقتل اصحابه كما في الحديث وتركه الكعبه مراعاه لقلوب قريش وتعظيمهم
لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله
كما حدثت عايشه رضي الله عنها في البخاري ويفعل الفعل ويترك الاولى غيره
خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت
من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجا استيلافه
ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس الحديث ويبذل له الرغائب ليحبب
اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت
في ملايه حتى لا يبدو منه شي من اطرافه وحتى كان على رؤس جلسائه الطير
ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون ويضحك مما يضحكون
منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا
يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان يكون له خاينة اعين فان قيل فما معنى
قوله لعايشه في الداخل عليه بيس ابن العشيره الحديث وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما
يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم
كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام وسل
هو على هذا الوجه قد خرج من حد مداراه الدنيا الى السياسه الدينيه
وقد كان يستالفهم باموال الله العريضه فكيف بالكلمه اللينه قال صفوان
لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله
فيه بيس ابن العشيره هو غير غيبه بل تعريف بما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر

حاله

حاله ويحذر منه ولا يوثق بجانبه لاسيما كان مطلقا متبوعا ومثل هذا لضروره ودفع
مضرة لم يكن غيبه بل كان جايزا في بعض الاحيان كعاده المحدثين في جرح الرواه والمزكين في
الشهود فان قيل فما معنى حديث بريره واخبار عايشه له ان مواليها ابوا البيع
الا باشتراط الولا لهم الحديث بطوله اعلم لما باعوها من عايشه كانوا يبيعوها قبل حتى
شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو قد حرم الغش والخديعه اعلم
اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي
لهم صلى الله عليه وسلم انكر قوم هذه الزياده قوله اشترطي لهم الولا اذ ليس في اكثر الطرق
ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال تعالى اولئك لهم اللعنه وقال وان
اسأتم فلها فعلى هذا لهم بمعنى عليهم ويكون قيامه صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف
لهم من شرط الولا لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان قوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم
الولا ليس على معنى الامر لكن على معنى التسويه والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد
بيانه صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولا لمن اعتق وكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه
شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي لهم وتقريعهم على ذلك يدل
على علمهم قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم الولا اي اظهري لهم حكمه
وبيني عندهم سنته ان الولا انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام صلى الله عليه مبينا لذلك
وموبخا على مخالفه ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف باخيه اذ جعل
السقايه في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون
ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الايه تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله
كذلك كدنا ليوسف الايه فاذا كان كذلك فلا اعتراض وايضا ان يوسف اعلم اخاه باني انا اخوك
وكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له وازاحه
السو والمضره عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم
عليه جواب لحل شبهه ولعل قايله ان حسن له التاويل كاينا من كان ظن على صوره
قيل الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان
نقول الانبيا ما لم يثبت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات
غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمه في اجرا الامراض وشدتها عليه وعلى غيره
من الانبيا عليه وعليهم الصلاه والسلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم
بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم

صلوات الله عليهم اجمعين وهم خيرته من خلقه اعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله
تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده ما لا لينظر كيف يعملون
وليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم الذين جاهدوا ويعلم الصابرين وليعلم الذين امنوا منكم
ويعلم الصابرين بامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع
منهم وتاكيد البصاير منهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المسلمين فيتوسلوا الى المحن علما علمهم
ويعتدوا اجرهم في الصبر ويمحوا عنه فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله مهذبين
وليكون اجرهم اجل وثوابهم ابين واجزل كما في الحديث عن مصعب بن سعد عن ابيه قال
قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل الحديث خرجه الترمذي
قال تعالى وكاين من نبي قتل معه الايات الثلث وعن ابي هريرة ما يزال البلاء بالمسلم في نفسه
وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
بعبده خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى
يوافي يوم القيمة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وتاملـ
السر في ذلك ان من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويتوجب
الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمومن يختبر
بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته اليه وهو
نايم محبة له وقيل اجتمع هو ويوسف يوما على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهما جار
وكان لهما جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز وبينهما جدار ولا علم
ليعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء الى ان كان كما قص الله فلما علم بذلك كان بقية حياته
يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند ال يعقوب وعوقب
يوسف بالمحنة التي قص الله علينا وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع
اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه
فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان كما تقدم وهذه نادرة شدة المرض والوجع به صلى الله
عليه وسلم وحديث عايشة ما رايت احدا الوجع منه وحديث عبد الله بن عمر انك لتوعك
الحديث وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله
ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبيا
يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلي بالقمل حتى يقتله وان كان ليبتلى النبي بالفقر

وان

وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان
عظم الجزاء مع عظم البلاء الحديث وقال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به
ان المسلم يجزى بمصايب الدنيا فتكون له كفارة وروي هذا عن عايشة ومجاهد وقال
ابو هريرة من يرد الله به خيرا يصب منه وفي رواية عايشة ما من مصيبة تصيب المسلم الحديث
وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم
الا حات الله عنه خطاياه الحديث وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم
ومعاقبة الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند
قبضهم وتخف مونة النزع بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاءة واخذه
كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال صلى الله
عليه وسلم مثل المومن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة من
حيث اتتها الريح الحديث يقول معناه ان المومن مرارا يصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه
بين اقدار الله منطلع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه كخامة الزرع وانقيادها للرياح
وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المومن رياح البلاء واعتدل
صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون الرياح رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه
برفع بلايه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذا السبيل لم يصعب عليه مرض الموت
ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لما تقدمه من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه
نفسه على المصايب ورقتها وضعفها بتوالي المرض وشدته والكافر بخلاف هذا معافى
في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على
غرة بغتة من غير لطف ولا رفق بحيث ما عرد ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة
كما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدايه كما قال فكلا اخذنا
بذنبه الايات ففجاهم بالموت بغتة على غير استعداد ومن حديث ابي هريرة كانوا يكرهون
اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريد الموت بالفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير
الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهد
حاله للقاء ربه ويعرض عن الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل
من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويودي الحقوق الى اهلها وينظر
فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه
وسلم المغفور له قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن

وافاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث
الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب
كتاب لئلا تضل امته من بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم راى
الامساك عنه افضل وخيرا وهكذى سيرة عباد الله المومنين واوليائه المتقين
وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من
حيث لا يعلمون قال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة الاية وكذلك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجاءة سبحان الله كانه على غضب المحروم من
حرم الوصية وقال موت الفجاءة راحة للمومن واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك
لان الموت ياتي المومن غالبا وهو مستعد منتظر لحلوله فهان عليه واستراح كما
قال صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه وياتي الكافر والفاجر على غير
استعداد ولا مقدمات منذرة بل بغتة فتبهتهم وكان اشد شيء عليه وفراق
الدنيا افظع امر صادعه واكره شيء لقيه والى هذا المعنى اشار صلى الله عليه وسلم بقوله
من احب لقاء الله الحديث

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام

فيمن تنقصه او سبه صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
قد تقدم من الكتاب والسنة والاجماع ما يجب من الحقوق لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله اذاه في كتابه واجمعت
الامة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة الاية وقال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال
وما كان لكم ان توذوا رسول الله الاية وقال في تحريم التعريض لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا واسمعوا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك
واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المومنين عن التشبه بهم
وقطع الذريعة لئلا يتوصل الكافر والمنافق بها الى سبه والاستهزاء به وقيل بل
لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها
من قلة الادب وعدم التوقير والتعظيم لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرع لك فنهوا
عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو صلى الله عليه وسلم
واجب الرعاية بكل حال وهذا هو صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التكني بكنيته
ذي الحديث صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب

لرجل

لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن ذلك لئلا يتاذى
باجابة دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزءون ذريعة الى اذاه
والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواك تعنيتا له واستخفافا بحقه
فحمى صلى الله عليه وسلم اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه
بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما
ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه
وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه
قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الاية وانما كان
المسلمون يدعونه برسول الله وبنبي الله وقد يدعونه بكنيته في بعض الاحوال
وقد روى انس عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه
اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا
يسمي احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر
الى رجل اسمه محمد يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد
ابن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا يسب بك والله لا تدعى محمدا ما انا حي وسماه عبد
الرحمن واراد ان يمنع هذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم وقال لا تسموا باسماء
الانبياء ثم امسك والصواب الجواز بعده صلى الله عليه وسلم بدليل اطباق الصحابة
على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك
اسم المهدي وكنيته وقد فصلت الكلام في هذا القسم على ما قدمناه

الباب الاول

في بيان ما هو في حقه صلى الله عليه وسلم سب او نقص من تعريض
او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي او عابه او الحق به نقصا بدم
في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء
على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب
له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا يستثنى فصل من
فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا يمترى فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك
من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق
الذم او عيب في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول

وزود او عيره بشي مما جرا من البلا او المحنة عليه او غمصه ببعض العوارض
البشرية الجائزة والمعهودة لديه فهذا كله اجماع من العلما وايمة الفتوى
من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم قال ابو بكر بن المنذر اجمع عامة اهل
العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس
والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل وهو مقتضى
قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هولا وبمثله قال ابو
حنيفة واصحابه والثوري والاوزاعي واهل الكوفة في المسلم لكنهم قالوا هي
ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة
واصحابه فيمن ينتقصه صلى الله عليه وسلم او برى منه او كذبه وقال سحنون
فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره
وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شا الله تعالى ولا نعلم
خلافا في استباحة دمه ~~صلى الله عليه وسلم~~ من احد من علما الامصار وسلف الامة
وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو
ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه
قال محمد بن سحنون اجمع العلما ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم والمتنقص له
كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الامة القتل ومن شك
في كفره وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل
خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال
ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما
وقال ابن القسم عن مالك في كتاب سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف
عن مالك في كتاب ابن سحنون من سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب
قال ابن القسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة
القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل وصلب حيا ولم يستتب والامام مخير
في الحالتين ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول
الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا
يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او

او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما او غيره وقال اصبغ يقتل على كل حال ان اسر او جهر
ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن ملك وروى ابن وهب عن ملك
من قال ان ردا النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه
قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلما على ان من دعا على نبي من الانبيا بالويل او بشي من المكروه
انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم
ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم
اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون صفته هي في صفة هذا المار ولا تقبل توبته
وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله
فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان
للذي ساله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاه
التاويل في لفظ صريح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا موقر له فوجبت اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل اد واشك
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سالت او جهلت فقد جهل وسال النبي بالقتل
وافتى فقها الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من
استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثنا مناظرته باليتيم وختن حيدرة
وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات لاكلها الى اشباه لهذا وافتى فقها القيروان
واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن
يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في
الاستهزا بالله وانبيائه ونبينا صلى الله عليه وسلم فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره
من الفقها وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى
بعض المورخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن
القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجا كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا قال قال صلى الله عليه وسلم لا يلغ الكلب
في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب

فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره
ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه صلى الله
عليه وسلم ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من
قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا
الباب كله مما عده العلما سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا
متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله حسبما تقدم وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية
الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه
او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به
نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلما في ذلك ويأتي ما يدل عليه

فصل

في الحجة في قتل من سبه او عابه عليه السلام فمن القران لعن الله موذيه في الدنيا
والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله وان اللعن انما
يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يوذون الله الاية وقال
في قاتل المومن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع
اللعن بمعنى القتل قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله انى يوفكون ولانه فرق
بين اذاهما واذى المومنين وفي اذى المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال
فكان حكم موذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا
يومنون الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم
يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الاية ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى
واذا جاوك حيوك الاية ثم قال حسبهم جهنم الاية وقال تعالى ومنهم الذين يوذون النبي
ثم قال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن سالتهم ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب الاية الى قوله كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم
بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما
الاثار عن الحسين بن علي عن ابيه رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الصحيح امر صلى الله عليه وسلم
بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يوذي الله ورسوله

ووجه اليه

ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه
لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البرا وكان يوذي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه
صلى الله عليه وسلم وفي حديث اخر ان رجلا كان يسبه فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا
فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان يوذيه من الكفار
ويسبه كالنضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا
الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط
نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه
رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروى ايضا ان امراة كانت تسبه
صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا
كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن قانع
ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا
فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر
رضي الله عنه ان امراة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع
ثنيتها فبلغ ذلك ابا بكر فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبيا ليس يشبه الحدود
وعن ابن عباس هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من
قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها
عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها
فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها
واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما
جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى اسماعيل
وغير واحد من الايمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النساي اتيت ابا بكر
وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال
اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر
ولم يخالف عليه احد فاستدل الايمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم
بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة

وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم
بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل
دمه وسال الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقها العراق
افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المومنين ما بقا الامه بعد شتم نبيها من شتم الانبيا
قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في
هذه الحكايه رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ولا ادري من هولا الفقها بالعراق وقد
ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بالعلم او من لا يوثق بفتياه او يميل به
هواه او يكون ما قاله القايل يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب
او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله للرشيد على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما
قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه صلى الله عليه وسلم
فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره ولهذا ما حكم كثير من
العلما بالردة وهي روايه الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفه
والكوفيين والقول الاخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر
الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح
كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزا والذم فاعترافه بها وترك توبته
دليل استحلاله لذلك فهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله
يحلفون بالله ما قالوا الايه قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن
شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القايل سمن كلبك ياكلك
ولئن رجعنا الى المدينه الايه وقد قيل ان قايل هذا ان كان مستترا به ان حكمه
حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا
عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه في الحرمه مزيه على امته وساب الحر من
امته يحد فكانت العقوبه لمن سبه صلى الله عليه وسلم القتل لعظيم قدره وعلو
منزلته على غيره **فصل** فان قلت فلم لم يقتل النبي اليهودي الذي قال له السام
عليك وهذا دعا عليه ولا قتل الذي قال هذه قسمه ما اريد بها وجه الله وقد
تاذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل
المنافقين الذين كانوا يوذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يتالف الناس ويميل قلوبهم اليه

ويحبب

ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين
ولم تبعثوا منفرين الحديث ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه
يداري الكفار والمنافقين ويحمل اذاهم ويصبر على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم
عليه وكان يرفقهم بالعطا والاحسان وبذلك امره الله فقال تعالى ولا تزال تطلع
على خاينه منهم الايه وقال ادفع بالتي هي احسن الايه وذلك لحاجة الناس للتالف اول
الاسلام وجمع الكلمه عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه
واشتهر امره كابن خطل ما تقدم ومن اهدر دمه جماعه ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما
ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستتره وحكمه صلى الله
عليه وسلم على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القايل منهم خفيه ومع
امثاله ويحلفون عليها اذا نميت ويحلفون بالله ما قالوا الايه وكان مع هذا
يطمع في رجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر صلى الله عليه وسلم على ذلك وامثاله
كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فا كثير منهم باطنا كما فا ظاهرا ونفع الله
بعد بكثير منهم وقام منهم للدين اعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار
وبهذا اجاب بعض ايمتنا رحمهم الله هذا السوال وقال لعله صلى الله عليه وسلم
لم يثبت عنده من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبه الشهاده
في هذا الباب من صبي او عبد او امراه والدما لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا
يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت
عليه عايشه ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك
ليا بالسنتهم وطعنا في الدين واعلم برد السلام عليهم كما في الحديث عليكم وكذلك
قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينه على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر
كان سرا والظاهر الاسلام وان كان من اهل الذمه بالعهد والجوار والناس
قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في
العرب النفاق من جمله المومنين وصحابه سيد المرسلين وانصار الدين
بحكم ظاهرهم فلو قتلهم صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما
اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف

المعاند وانتزاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد
ولرعي الزارع وظن الجاهل والظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الثار وقد
معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا
يتحدث الناس الحديث وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف
اجرا الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل والقطع وشبهه لظهور
ذلك واستوا الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم
لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله ابن القصار وقال قتادة في تفسيره في قوله تعالى
لئن لم ينته المنافقون الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة
في المبسوط عن زيد بن اسلم في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين الاية
نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القايل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله
وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما
رآها من وجه الغلط في الراي في امور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك
سبا وراه انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه ولذلك لم يعاقبه
وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعا الا بما
لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسامون
دينكم والسام والسامة الملال وهذا دعا على سامة الدين ليس بتصريح سب ولهذا
ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى
الله عليه وسلم قال بعض علماينا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض
بالاذى قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ان السب والاذى في حقه سوا وقال
القاضي ابو محمد بن نصر محتجا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر
في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل الذمة والعهد او الحرب ولا يترك موجب
الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من مقصد الاستيلاف والمداراة
على الدين لعلهم يومنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج
باب من ترك قتال الخوارج للتالف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه
عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم صلى الله عليه وسلم على سحره وسمه وهو اعظم
من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حسبه منهم وانزلهم من صياصيهم
وقذف في قلوبهم الرعب وكتب عليهم الجلا واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم
بايديهم

بايديهم وايدي المومنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم
فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم فان قلت قد جاء في الحديث الصحيح عن عايشة
رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه الحديث فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم
ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا
ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لا يقصد فاعله
به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفا والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ
الاعرابي بازاره الحديث وكرفع صوت الاعرابي عنده وكجحد الاعرابي شراه منه فرسه
التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح
عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر وجا اسلامه بعد ذلك كعفوه عن اليهودية التي
سمته وقد قيل قتلها او مثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم
رجا اسلامهم واستيلاف غيرهم كما تقدم وبالله التوفيق **فصل** تقدم الكلام
في قتل القاصد لسبه والازرا به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين
لا اشكال فيه الوجه الثاني لاحق في البيان والجلا وهو ان يكون القايل لما قال في جهته
صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه وسبه او تكذيبه او تجويز ما لا يجوز او حذف
ما يجوز له مما هو في حقه نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او
في حكم بين الناس او يغض من مرتبته واشباه ذلك مما تقدم ذكره او يكذب بما اشتهر
من امور اخبر بها وتواتر الخبر بها عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه من القول او قبيح
من كلام او نوع من السب في حقه فان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد به
سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او لسكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط
للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم
اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل في اللسان ولا لشي مما ذكرناه اذا
كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون
على ابن حاتم في نفيه الزهد عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي تقدم وقال محمد بن سحنون
في الماسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه
وعن محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن
شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في
صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله

على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون
بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث
حمزة لان الخمر لم تكن حرمت بعد فلم يكن في جنايتها اثم وكان الحكم كالحادث من النوم وشرب الدوا

فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او
رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر
باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بالمرتد وقوي الخلاف
في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم
ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا بذلك فحكمه حكم
الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من
محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القسم في المسلم اذا قال
ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شي تقوله قتل قال ومن كفر
برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن
بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبا وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون
قال ابن القسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله
مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبا او زعم انه ارسل الى الناس او قال
بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب
بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعوته الرسالة
والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند
الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم اسود قتل وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان
يلتحي او قال انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع
تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له
زنديق يقتل دون استتابة

فصل الوجه الرابع ان ياتي من الكلام
بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره
ويتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فها هنا يتردد النظر وتحير
العبر مظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة

الاية

الاية فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم
من عظم حرمة الدم ودرا الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل
اغضبه غريمه فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو
كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان
على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا للشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن
الفرج لا يقتل لانه شتم الناس وهو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم
النبي صلى الله عليه وسلم لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل على الشتم
النبي ولا الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل
على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر صل على النبي محمد فحمل قوله وسبه لمن يصلي
الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة
صاحبيه وذهب الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن
القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود
والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل
اراد اصحاب الفنادق اليوم الا انه معلوم انهم ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره
اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان
فيمن تقدم من الانبيا والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا
بامر بين وما ترد اليه التاويلات لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه
وحكي عن محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن بني اسرايل
ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد الانبيا وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب
بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال
لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع حاضر لباد ولعن ما جاء به انه كان يعذر
بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع لانه لم يقصد بظاهر حاله سب
الله تعالى ولا رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه
فيما تقدم ومثل هذا ما يجري في كلام الناس في قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير سفها
ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من اباله
واجداده جماعة من الانبيا ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام
فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهله القايل منه وشدة الادب فيه ولو انه علم

سب من في ابايه من الانبيا على علم قتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي
لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذريه النبي صلى الله عليه وسلم
قولا قبيحا في ابايه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذريه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن
قرينه في المسلتين تقتضي تخصيص بعض ابايه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم
وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشي ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبيا باب شيوخنا
يتهمون فكيف انت قال شيخنا ابو اسحاق بن جعفر الطبري يرى قتله لبشاعه اللفظ
وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف على القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم عن انهم
من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبه ابو عبد الله بن الحاج بنحو هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد بعده
عليه ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام قضايه اتي برجل هاتر
رجلا اسمه محمد فضل الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد وانكر الرجل ان يكون قال ثم
ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وسال عنه هل يصحب احدا من اهل الريب
فلم يجد فضربه بالسوط واطلقه

فصل الوجه الخامس ان لا يقصد

نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله
صلى الله عليه وسلم الجائزه عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجه لنفسه او لغيره
او على التشبه به او عند هضيمه نالته او غضاضه لحقته على طريق التاسي وطريق
التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه
عليه السلام او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القايل ان قيل في السو فقد قيل
في النبي وان كذبت فقد كذب الانبيا وان اذنبت فقد اذنبوا وانا اسلم من
السنه الناس ولم يسلموا الانبيا او قد صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر
ايوب او قد صبر نبي الله عن عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امه
تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين
في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير
على ان اخر البيت شديد وداخل في باب الازرا والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل
حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل
هو مثله في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل فصدر البيت الثاني من هذا الفصل
لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيله نقصت

المدح

المدح والاخر استغناوه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر **شعر**
واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرين وقول الاخر من اهل العصر **شعر**
فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعرا
الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون **شعر**
كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد الى امثال هذا وانما اكثرنا
شاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج
هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العب وقله علمهم بعظيم ما فيه من
الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما
الشعرا واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني الاندلسي وابن سليمان
المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد
اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه
كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملايكه والانبيا نقصا ولست اعني عجزي
بيتي المعري ولا قصد قايلها ازرا وغضا فما وقر النبوه ولا عظم الرساله ولا عزر حرمه
الاصطفا ولا عزز حظوه الكرامه حتى شبه من شبه في كرامه نالها او معره قصد
الانتفا منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلا في وصف لتحسين كلامه بمن عظم
الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق
هذا ان درى عنه القتل الادب والسجن وقوه تعزيره بحسب شنعه مقاله ومقتضى
او ندمه قبح ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينه كلامه على ما سبق منه ولم يزل
المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جا به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله
يابن اللخنا وان يك باقي سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف خصيب فقال ابن اللخنا انت
المستهزي بعصا موسى وامر باخراجه من العسكر من ليلته وذكر القتيبي ان مما
اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم
تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكر عليه
ايضا قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفره لان
حق الرسول وموجب تعظيمه وانافه منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم
في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهاج جاءت فتيا امام مذهبنا
مالك بن انس رحمه الله واصحابه في النوادر من روايه ابن ابي مريم عنه في رجل

عيّر رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرّض
بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه أرى أن يؤدب قال ولا ينبغي لأهل الذنوب
إذا عوتبوا أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون أبوه
عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب
لنا أبدا وقد كره سحنون أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب
والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما أمر الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كأنه
وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني
القبر وهما ملكان أروع دخل عليه حين رآه أم عافه فإن عافه فشديد لأنه من باب
التحقير والتهوين وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع على المخاطب وفي الأدب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء وأما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عند رؤيته
العبوس إلا أن يكون رهب منه وإنما تشبهه على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه
في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كأنه لله يغضب غضب مالك فيكون
أخف وما ينبغي له التعرض لمثل ذلك ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة
مالك كان أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم ولو قصد ذمه
قتل وقال أبو الحسن أيضا في معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت إنك
أمي فقال الشاب أليس النبي صلى الله عليه وسلم أمي فشنع عليه مقالته وكفره الناس
وأشفق الشاب وندم قال أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه فخطأ وقد أخطأ في
استشهاده فإذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى التوبة والندم وجب الكف عنه
وسئل بعض فقهاء الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور في رجل تنقصه آخر بشيء
فقال إنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم أفتاه بإطالة
سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله

فصل الوجه السادس أن يقول القائل حاكيا عن غيره وآثرا له
عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على أربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فإن كان على وجه
الشهادة والتعريف بالقائل والإنكار فيحمد على ذلك وكذلك إن حكاه في كتاب
عن القائل على طريق الرد له والنقض والفتيا بما يجب وهذا منه ما يجب ومنه
ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه وإن كان القائل ممن يؤخذ

عنه

عنه العلم أو رواية الحديث أو يقطع بحكمه وشهادته أو فتياه في الحقوق وجب على
سامعه الإشادة بما سمع منه وتنفير الناس عنه والشهادة عليه بما قال ووجب على
من بلغه ذلك من أئمة المسلمين الإنكار عليه وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره
عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب
الصبيان فإن هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الإيجاب
لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وإن لم يكن القائل بهذه السبيل
فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعينة ونصرته
واجبة على كل مسلم ما دام بها رجل منهم سقط عن الباقين وبقي الاستحباب
في تكثير الشهادة وعظم التحذير منه وقد أجمع المسلمون على بيان حال المتهم
في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل
هذا في حق الله تعالى أيسعه أن لا يؤدي قال إن رجا إنفاذ الحكم بشهادته
فليشهد وكذلك إن علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة
والأدب فليشهد ويلزمه ذلك وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين
المقصدين فلا أرى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم
والتمضمض بسوء ذكره لأحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح وأما للأغراض المتقدمة لام
فمتردد بين الإيجاب والاستحباب وقد حكى الله مقالات المفترين عليه وعلى رسله
في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه
الله علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات
مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها
عليهم وإن كان ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد صنع أحمد
مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية
عنها فأما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات
والأسمار والطرف وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك
المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه
أشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد ومعرفة
بمقدار ما حكاه أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر

على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العود اليه فان قوم
ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان
الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول القران مخلوق فقال مالك
كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك
على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم الحاكي انه اختلق ذلك
او دانه عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او
التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه صلى الله عليه وسلم وسبه فحكمه حكم
الساب نفسه يواخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية
امه وقد قال ابن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو
كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به
عليه السلام وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا
المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا
سبيله وتركوا روايته الا اشيا ذكروها يسيرة غير مستبشعة على نحو
الوجه الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو
عبيد بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار
العرب تكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبرا لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد في كتبه
بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
او اختلف في جوازه عليه وما يطرا من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او
يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة
ابتدا حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك
ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبيا وما
يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص
ولا ازرا ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون
الكلام فيه مع اهل العلم وفهما طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده
ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النسا
سورة يوسف لما انطوت عليه من القصص والحديث الوارد فيهن فقد قال صلى الله عليه وسلم

مخبرا

مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا رعى الغنم
واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره
على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم
في ذلك للانبيا حكمة بالغة وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته وتدريبهم برعايتها لسياسة
اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكره
الله على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه التعريف والخبر
عن مبتدا له ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره
الله بعد هذا على صناديد العرب من ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم
وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده
بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة ولو كان ابن ملك او ذا اشياع
متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال
هرقل حين سال ابا سفيان عنه هل في ابائه من ملك الحديث واذا اليتم من صفته واحدى
علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبه
وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما
جاء في القران فهذا مدح وفضيلة وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى القران انما هي متعلقة
بطريق المعارف والعلوم مع ما منح الله نبينا صلى الله عليه وسلم وفضله به من
ذلك كما قدمناه في القسم الاول فليس في انه امي تنقص اذ المطلوب من الكتابة والقراءة
المعرفة وقد اوتي ذلك بغير سبب الكتابة والقراءة وذلك معجزته والامية في غيره نقص
لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه
فيما فيه محط سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته
كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه
وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من متاع
الدنيا وتواضعه ومهنته في نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا
وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فنا امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله
به وشرفه كما ذكرنا فمن اورد شيئا منها وتقدم الجواب عنه ممن اورد شيئا منها مورده
وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده
لحق بالفصول المتقدمة وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبيا عليهم السلام

في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق به بحال وتحتاج الى تاويل
وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم
الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه
والمشكلة المعنى وقال ما يدعوا الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث
بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها
فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم
كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم
عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته
وبليغه وايجازه فلم يكن في حقه مشكلة ثم جا من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية
فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز
ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها شذر مذر فمنهم من امن به ومنهم
من كفر واما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيا في حق الله تعالى
ولا في حق انبيايه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك
الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعنى واهية الاسناد
وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة
موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان
يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام
على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس بها
واشفى للنفس

فصل

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز
والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم
الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات
الادب عند ذكره واذا ذكر ما قاساه من الشدايد ظهر عليه الاشفاق والا
رتماض والغيظ على عدوه ومودة الفدا للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة
له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله صلى
الله عليه وسلم تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه وتجنب بشيع
ذلك وهجر من اللفظ ما لا يحسن كلفظ الجهل والكذب والمعصية واذا تكلم في الاقوال
قال هل يجوز عليه الخلف في القول في الاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه

من العبارة

من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز
الا يعلم الا ما علم وهل يجوز ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا
يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة
في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغاير فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي
او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره صلى الله عليه
وسلم وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلما لم يتحفظ من هذا
فقبح منه ولا استصوبت ذلك منه ووجدت بعض الجايرين لم يتحفظ قوله
قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر
قائله واذا كان مثل هذا من الناس مستعملا في ادابهم احسن معاشرتهم وخطابهم
فاستعماله في حقه صلى الله عليه وسلم اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة
تقبح الشي او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الادب قال صلى الله عليه وسلم
ان من البيان لسحرا واما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح
العبارة كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكباير بوجه ولا الجور
في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند
ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف يظهر عليهم حالات
شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم
مثل ذلك عند تلاوة اي القرآن حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر باياته
وافترى عليها الكذب وكان يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا واشفاقا
من التشبه بمن كفر به

الباب الثالث في حكم شانيه

ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته قد قدمنا ما هو سب واذى
في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا اجماع العلما على قتل فاعل ذلك وقايله او
تخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرنا وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان
مشهور مذهب مالك رضي الله عنه واصحابه وقول السلف وجمهور العلما قتله
حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه
استقالته وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسوا كانت
توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جا تايبا من قبل
نفسه لانه حد وجب لا يسقطه التوبة كساير الحدود قال ابو الحسن

الله عز

ساب
استتابه

القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه حده
وقال ابن ابي زيد مثله واما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب لم تزل توبته القتل وكذا اختلف في
الزنديق اذا جاء تائبا قال ابن القصار من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر
على ستره فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني
استدل على صحتها بمجيئه فكاننا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال المؤلف
وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور فيها الخلاف
على الاصل المتقدم لانه حق متعلق به صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه
بالتوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك
والليث واسحاق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن
ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب
قال محمد بن سحنون لا يزول القتل بالتوبة من السب لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما
فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر
وقال ابن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على
مشهور القول باستتابته ان النبي بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه
الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس سبه صلى الله عليه وسلم
كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين
فقبلت توبته لكن سب النبي صلى الله عليه وسلم يتعلق به حق لادمي فكان كالمرتد يقتل
حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القذف وايضا فان المرتد اذا قبلت   القتل
توبته لا تسقط توبته من زنا او سرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي لكفره الا لمعنى
يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة وذلك لا تسقطه التوبة
قال المؤلف يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء
والاستخفاف وبتوبته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي
حكم السب عنه وكلام شيوخنا هذا كله على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج
الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه فقد صرحوا انه
ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في
هذا الوجه والاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فمن لم يره ردة فهو

يقتله

د٢

فهو يقتله حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع
والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر
عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر وتشهدون عليه بكلمة الكفر
ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل
فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان
ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام
الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة واما من علم
انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا
كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل ولا تقبل له توبة بحد القول ومتقدم
كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة
واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة
نبيه فيقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم
في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله

فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة
المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم
الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة
ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن رباح والنخعي والثوري
ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي وذهب طاوس وعبيد
بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقال عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره
عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر
قالوا وتنفعه توبته عند الله كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى
المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد
عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا
ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه
الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة والنار   حبس
قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء

ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا
كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او
خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن
القسم وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم يتب في الرابعة
قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع
التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع
وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي **فصل** هذا حكم من ثبت
عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه
بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه
اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع
عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه
من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا
يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل
لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات
الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد بن مسلم عن مالك
والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية
اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن
سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب
الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل
هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق
من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل
عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا
ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا
يهراق دمه الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء
ويعاقب عقوبة شديدة واما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت

فاثبت عداوتهما او جرحهما بما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط
الحكم عنه فكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل
التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم
هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد **فصل** هذا حكم المسلم اما
الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا
خلاف في قتله عندنا ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة والعهد على هذا وهو قول عامة العلماء
الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل لان ما هو عليه من
الشرك اعظم ولكن يودب ويعزر واستدل بعض شيوخنا بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد
عهدهم الاية ويستدل ايضا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لكعب بن الاشرف واشباهه ولانهم
لم نعاهدهم على مثل هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه عهدا ولا ذمة
وصار نقضا ولا يسقط الذمة حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل
لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون
به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به
ستقف عليها من كلام ابن القسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف
عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام
يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه وتنقصه
بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد
فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره فلم نقبل بعد
رجوعه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط
الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته فلم يكن رجوعه
الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل
وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فلان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب
المبسوط وابن القسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل
الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند
محمد وابن سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من

لا انبيا عليهم السلام من مسلم وكافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان
يسلم الكافر وقد روي ابن وهب عن ابن عمران راهبا تناول النبي صلى الله عليه
فقال ابن عمر هلا قتلتموه وروي عيسى بن القسم في ذمي قال ان محمد لم يرسل الينا
انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شي عليه لان الله اقرهم على مثل
هذا ولو قال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شي يقوله او نحو هذا فيقتل
قال ابن القسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا
من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال كذلك يعطيكم الله
ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم
الانبيا من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا به ضربت عنقه الا ان يسلم
قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه
وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا واذا قتل
واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله وكذلك اظهاره لسب نبينا قال سحنون
كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قايل كذلك
ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه قال القاضي ابو الفضل المولف ما ذكره ابن سحنون عن
نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله
فانه يدل على خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو مصعب الزهري قال اتيت
بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما
وليلة وامرت من جر برجله وطرحه على مزبلة فاكلته الكلاب وسيل ابو
مصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القسم سالنا مالكا
عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة ما له لم ينفع نفسه
اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح الناس منه قال مالك ارى ان تضرب عنقه
قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار وان
شا قتله ثم حرق جثته وان شا احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد
كتب الى مالك من مصر وذكر مسلة ابن القسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل
وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق
بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين

يقتل نصراني

يقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول
اسلامها ودرا القتل عنها به قال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال
ابو القسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب
وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درا القتل عنه باسلامه وقال وما سقط
عنه باسلامه حدود الله فاما حدود القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب
فما وجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا
يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى
الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله

فصل في ميراث من سب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه

اختلف العلما في ذلك فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين لانه كفر عنده وزندقة وقال اصبغ لورثته
من المسلمين ان كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا له فللمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب
قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني
لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شي وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة
يقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى
عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى
عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر
المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تايب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ
وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في
العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال
ابن القسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد
اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابن ابي
زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي
فلا خلاف انه لا يورث وقال فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تقم عليه بينة او لم تقبل انه
يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول
الله صلى الله عليه وسلم واعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال
وكان يقول مالك ميراث المرتد للمسلمين وربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى
واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب

والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحاق وابو حنيفة
يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما اكتسبه قبل ارتداده وما يكتسبه في الارتداد
فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على راي اصبغ وخلاف
قول سحنون واختلافهما على قول مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته
من المسلمين قامت بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ
ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابنا لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه
حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع
عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه للمسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة
من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد بن سحنون وذهب ابن القسم
في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل
او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام
وسئل ابو القسم ابن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل
هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث
بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث في من سب الله وملائكته

وانبيائه وكتبه وال النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب
الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القسم
في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القسم عن مالك في كتاب اسحق
ابن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء على
الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال
في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم
لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل
منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه
ابن نصر عن المذهب وافتى ابن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال ابو محمد
انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني قال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما
فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في هرون بن حبيب اخي عبد
الملك الفقيه وكان ضيق الصدر وكان كثير التبرم وكان قد شهد عليه شهادات

منها

منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب
هذا كله فافتى ابرهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمون قوله تظلم من الله تعالى والتعريض
فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان
القاضي بطرح القتل عنه ورأى القاضي الثقل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال
كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله بالاستتابة انه كفر وردة
محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال
الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار
الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل
في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى اخر واظهر السب
بمعنى الارتداد فهذا قد علم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المستمسك
به وحكمه حكم المرتد يستتاب على مشهور المذهب لمالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا
الخلاف في فصوله

مذاهب اكثر العلماء وهو

فصل واما من اضاف الى الله ما لا يليق به ليس على طريق
السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطا المفضي الى
الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف
والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك فيه واصحابه ولم يختلفوا في
قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا واختلفوا في المنفرد منهم
فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة
سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز
في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول
مالك في الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية وشبههم
ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابوا اظهروا
ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم ومثله قال ابن القسم في كتاب محمد
في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله
له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا
لرايهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز وقال ابن القسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما
استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم
من الخوارج والقدرية والمرجية وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام

لانه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان
ابن محمد الكفر عليهم ولقد قال في القدري لا تزوجه لعبد مومن خير من مشرك وروى
عنه ايضا اهل الاهوا كلهم كفار وقال من وصف شيا من ذات الله تعالى وتقدس
فاشار الى شي من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه
وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع
ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال
القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ايمة العراقيين
جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلاة
خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر السلف على
تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران
وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم
وعلي بن عاصم في اخرين وهو قول اكثر المحدثين والفقها والمتكلمين فيهم وفي الخوارج
والقدرية واهل الاهوا المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل
وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول
الاخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو راي جماعة من
الفقها النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل
حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام
عليهم قال اسماعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وساير اهل البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان راى الامام قتله
وان لم يقتل قطع يده وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل
ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل
في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة **فصل** في تحقيق القول في اكفار
المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهوا المتاولين
ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه
وعلى اختلافهم اختلف الفقها والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال
به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المومنين وهو قول اكثر الفقها
والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا

قال

قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن
كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون
في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة
الصلاة خلفهم منه والى نحو هذا ذهب القاضي ابو بكر وقال انها من المعوصات اذ القوم
لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسلة نحو اضطراب
قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على راي من كفرهم بالتاويل لا تحل
مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في
ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر
ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري
واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري
وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس
بعارف به فهو كافر والى مثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد
الحق وكان ساله عن المسلة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في
الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز
من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دم المصلين الموحدين خطر والخطا في ترك
الف كافر اهون من سفك محجمة دم من مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم فاذا
قالوها عصموا مني الحديث فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها
الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب
معرضة للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسميته
الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك الخوارج وغيرهم من اهل الاهوا فقد
يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث
في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله
في الريا وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية فاذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على
احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال
شر قتيل تحت اديم السما طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل
عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول
الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه

يقتلون اهل الاسلام فنقتلهم فها هنا احد لا يكفر وذكر عائد بشبهة للقتل بحد لا للكفر
وليس كل من حكم بقتله حكم بكفره ويعارضه بقول خالد دعني اضرب عنقه يا رسول الله
فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤون القران لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان
الايمان لم يدخل في قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين الحديث وبقوله سبق الفرث والدم
يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشي اجابه الاخرون ان معناه لا يفهمون معانيه ولا يشرح
له صدورهم ولا تنتفع به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك
في حاله وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم يخرج في هذه الامة
ولم يقل من هذه وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة
بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من
الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي
وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على
ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا
مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم
لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات هذه صح
كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل
به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان تاويله تشبيها
لله بخلقه وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله
فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو
من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف
الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال
المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق في ذلك فرق الامة
اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانما
الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود
الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ
الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا ومن غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة
في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم
لا حجة لله عليهم اذ لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من

هذا

من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر
احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك
قال القاضي ابو بكر لان التوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه

وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال
للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية
او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب
الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم او
القمر او النار او غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم
ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة
من الروافض وكذلك من اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي
او غير قديم او انه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد
من شي او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان للعالم صانعا سواه
او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالاهيين من الفلاسفة
والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته
او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة
وكذلك نقطع بكفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض
الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص
وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية
ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا خصوصا او احد من الانبياء الذين
نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية
من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل
وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من الرافضة وان كان بعض
هؤلاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة
النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به
ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر بالاجماع كالمتفلسفين وبعض

الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هاولاي زعموا ان
ظواهر الشرع واكثر ما جات به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة
والحشر والقيمة والجنة والنار ليس منها شي على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما
خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة بزعمه او ابدعها فهو كافر بالاجماع لهم اذ لم يمكنهم
التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب
الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر
به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبيا او ازرى عليهم
او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك يكفر من ذهب مذهب بعض
القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود
ويحتج بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يودي الى ان يوصف انبيا
هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع
المسلمين على خلافه وتكذيب قايله وكذلك يكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم
ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة
والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي وتكذيب به وكذلك من ادعى
نبوة مع نبينا او بعده كالعيسوية من اليهود المخصصين رسالته الى العرب وكالخرمية
القايلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القايلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله
عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هولاي يقوم مقامه في النبوة والحجة
وكالبزيعية والبيانية منهم القايلين بنبوة بيان وبزيع واشباه هولاي او من
ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفا القلب الى مرتبتها كالفلاسفة
وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم ان الله يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى
السما ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهاولاي كلهم كفار مكذبون
للنبي صلى الله عليه لانه اخبر صلى الله عليه وسلم انه خاتم النبيين وانه ارسل الى كافة الناس
من غير تاويل وثبت الاجماع عليه وكذلك انه لا تخصيص فيه ولا شك في كفر هاولاي الطوايف
كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص القران او خص
حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم
ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم
وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره

ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قايل قال قولا يتوصل به الى تضليل
الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي
صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم
فهاولاي تكفر من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل
القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل
من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بسبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
عهد الى علي وهو يعلم انه يكفرون بعده على زعمهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله
واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان
صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او الشمس والقمر
والصليب والنار والسعي الى الكنايس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص
الرووس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان ذلك علامة على الكفر
وان صرح فاعلها بالاسلام واجمعوا على من استحل القتل او الخمر او الزنا او ما حرم الله
بعد علمه بالتحريم كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك
من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعله
صلى الله عليه وسلم ووقع عليه الاجماع كمن انكر وجوب الصلاة الخمس وعدد ركعاتها
وسجداتها ويقول الوجوب جنس على الجملة ولا اعلم هذه الصفات والشروط اذ لم يرد
فيه من القران نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد فذلك كافر وكذلك من قال من
الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وتكفير الباطنية الذين قالوا ان الفرايض اسما رجال
امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسما رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة
ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل
شي لهم ورفع عهد الشرايع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة والبيت والمسجد
الحرام وصفة الحج وانه الحج واستقبال القبلة في القران واجب لكنه على غير هذه الهيئة
المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد لا ادري هل هو ذلك المكان او غيره
ولعل الناقلين غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره وان كان ممن يظن به علم
ذلك وخالط المسلمين فلا نجد بينهم خلافا فانه عن كافه الى معاصري الرسول
صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة مكة والبيت الكعبة
وهي القبلة وحج المسلمين اليها والطواف بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد

به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة فعلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وشرح مراد الله بدليل وابان حدودها فيتبع لذلك العلم
ما وقع لهم ولا ارتياب في ذلك لتعدد المراتب في ذلك بعد البحث والصحبة كافرا اتفاقا ولا يعذر
بقوله لا ادري ولا يصدق بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا
فانه اذا جوز ذلك واجمعوا انه قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله ادخل الاسترابه
في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت عرى الدين ومن قال هذا كافر
وكذلك من انكر القران او حرفا منه او غير شيا منه او زاد او نقص كفعل الباطنيه
والاسماعيليه او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه معجزة كقول
هشام الفوطي ومعمر الصيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يدل على ثواب ولا عقاب فلا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول ومن قاله وانما
انكر ان يكون في سائر معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات
والارض دليل على الله لمخالفته الاجماع والنقل المتواتر باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران
به وكذلك من انكر شيا مما نص فيه القران بعد علمه انه من القران الذي في ايدي
الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج
لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقله فيكفره
بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقران مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه
وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث والحساب والقيمة فهو كافر باجماع المسلمين
ولو اعترف بها وقال ان المراد بها معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنه
كقول النصارى والفلاسفه والباطنيه وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة الموت
او فنا محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفه وكذلك
نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبيا واما من انكر ما عرف بالتواتر
من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من
الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر وقتل عثمان وخلافة علي
مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين
فلا سبيل لتكفيره بجحده ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة
كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه واما ان ضعف ذلك من
حيث تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة

واما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من
الفقها والنظار في هذا الباب قالوا نكفر كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط
الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
الاية وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلما وذهب
اخرون الى التوقف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلما وذهب
اخرون الى التوقف عن القطع في تكفير من خالف الاجماع الكاين عن نظر كتكفير
النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف باحتجاجهم به خارق
للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بالله فان
من عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر
او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر
فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاث امور احدها الجهل بالله تعالى
الثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك
لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم واشباهه مما تقدم او يكون ذلك القول
او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله
فهما علم فاعلهما انه منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى
الذاتيه او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم
وشبهه من صفات الكمال الواجبة لله تعالى فقد نص ايمتنا على الاجماع على
كفره وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا
يكفر المتاولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف
العلما ها هنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال
به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طايفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان
واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه
دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هاؤلا بحديث السودا
وانه صلى الله عليه وسلم طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القايل لان قدر الله علي
الحديث وفي رواية لعلي اضل الله ثم قال فعفوله قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات
وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه

منها ان قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه في القدره على احيايه بل في بعث الجسد الذي لا يعلم
الا بشرع ولعله لم يكن ورد به شرع يقطع عليه فيكون الشك به حينيذ فيه كفرا
واما ما لم يرد فيه شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله
بنفسه ازرا عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط
للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم يواخذ به وقيل بل هذا
من مجاز الكلام للعرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله
امثلة في كلامهم في قوله لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى الاية فاما
من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولا علم له ومتكلم ولا كلام له وهكذا في لكن ج
ساير الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمال لما يوديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه
كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم وكانهم صرحوا
عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا ساير فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمال قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم
اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمال الذي الزمتموه
لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يوول اليه على ما اصلناه فعلى
هذين الماخذين اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا فهمته اتضح لك الموجب
لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران
واجرى حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحتهم ودياتهم والصلاة عليهم
ودفنهم في مقابر المسلمين وساير معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد
الهجر والزجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد
كان نشا على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر وراى
الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم
وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب
كباير عن المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن راى غير ذلك والله عند
الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسايل الوعد والوعيد والروية والمخلوق
وخلق الافعال وبقا الاعراض والتولد وشبهها من الدقايق فالمنع من اكفار المتاولين
فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشي منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من
جهل شيا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف ما اغنى عن اعادته

فصل

فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر
في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج عليه فخرج ابن عمر عليه
بالسيف فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب في المبسوط وابن القسم في المبسوط
وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى وتقدس من اليهود والنصارى بغير
الوجه الذي به كفر وهو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والولد
والشريك واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض عهد
قال ابن القسم في كتاب محمد ومن شتم الرب تعالى من غير اهل الاديان بغير الوجه
الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوط ومحمد بن مسلمة
وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال
مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه
الذي كفر به قتل الا ان يسلم وقد تقدم قول ابن الجلاب وكذلك من سب النبي
صلى الله عليه وسلم من اهل الاديان بغير الوجه الذي كفر به ولا فرق بينهما في ذلك
لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيا من كفرهم ولا يسمعونا شيا من ذلك
فمتى فعلوا شيا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلما في الذمي اذا تزندق فقال مالك
ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك
ابن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يوخذ عليه جزية قال
ابن حبيب وما اعلم قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه او اضاف
ما لا يليق بجلاله والاهيته واما مفتري الكذب على الله تعالى بادعا
الالاهية او رسالة او النافي ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب او
المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قايل ذلك
ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه
انابته وتنجيه من القتل لكن ينكل به ويعاقب ليكون ذلك زجرا لمثله ولدعر العود
الا من تكرر منه ذلك ودل على سو طويته وكذب توبته فصار كالزنديق الذي لا نامن
باطنه ولا نقبل رجوعه والسكران في ذلك كالصاحي واما المجنون والمعتوه فما
علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب عقله فلا نظر فيه وما فعله في غير
تلك الحال وعقله حاضر ولا اسقط تكليفه ادب لينزجر عنه كما يودب على قبايح
الافعال ويوالي ادبه على ذلك حتى ينكف كما تودب البهيمة على سو الخلق

لكن نراض وقد حرق علي بن ابي طالب من ادعى له الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي
وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم
والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية
وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي رحمهم الله على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول
بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك
حكموا في ابن ابي العزاقير وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي في ايام
القضاة ابو الحسين بن ابي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل
وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد
وقال ابن القسم في كتاب ابن حبيب ومحمد والعتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر
ذلك او اعلنه وهو مرتد وقاله سحنون وغيره وقال اشهب في يهودي تنبأ وادعى
انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابن زيد فيمن لعن
بارية وادعى ان ذلك لسانه وانما اراد لعن الشيطان يقتل ولا يقبل عذره وهذا
على القول الاخر من انه لا يقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال
انا الله انا الله ان تاب ادب وان عاد فهو زنديق لان هذا كفر المتلاعب

فصل واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط
كلامه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشيا
ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق الخالق
غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامدا للالحاد فان تكرر منه ذلك دل على تلاعبه
بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية
فيه وكذلك ما يوجب التنقص بالوهيته وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل
من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال
بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية
وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا
الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي موسى بن زياد
فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد
سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي
وكانت عجب عمة هذا الطالب من حظاياه فاعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن

من عنده

من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل
القاضي واتهم بقية الفقهاء وسبهم واما ما صدر عنه من ذلك فلتة شاذة ما لم يكن
تنقصا يؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح
سببه ومقارنتها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه
فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه
قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم
والسفيه يؤدب ولو قاله على اعتقاد كفر وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء
على مثل هذا او استخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا
ولساننا عنه ولولا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا من ذلك
واما اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا
وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه هذا
من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب
فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى
مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه
الامور وروينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر
اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من
ادركنا من مشايخنا قل ما يذكرون اسم الله تعالى الا فيما يتصل
بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا
اعظاما لاسم الله ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان
الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم في الله تعالى
وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله وينزل الكلام في
هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي
فصلناها

فصل وحكم من سب سائر انبياء الله وملائكته عليهم
السلام او كذبهم او استخف بهم او انكرهم او جحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم
على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله الاية
وقال تعالى قولوا امنا بالله الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن
بالله وملائكته وكتبه ورسله الاية قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد

وقال ابن القسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبيا
او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب واهل الذمه كذلك الا ان يسلم وروى
سحنون عن ابن القسم من سب الانبيا من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر
قتل الا ان يسلم وتقدم الخلاف في هذا الاصل وقال سعيد بن سليمان قاضي قرطبه في بعض
اجوبته من سب الله وملايكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملايكه قتل وفي
النوادر عن مالك من قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي استتيب فان تاب والا قتل
ونحوه عن سحنون وهو قول الغرابيه من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي اشبه
بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفه واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبيا
او تنقصه او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كانه وجه
وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن
تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملايكه والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملايكه
والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع
كجبريل وميكاييل ومالك وخزنة الجنه وملك الموت وزبانية جهنم وحملة العرش المذكورين
في القران ومن سمي فيه من الانبيا وكاسرافيل والحفظه ورضوان ومنكر ونكير
فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه هاروت وماروت والخضر ولقمن وذي القرنين
ومريم وآسيه وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي يدعي المجوس
والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ
لم تثبت لهم تلك الحرمه ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويودب بقدر حال المقول فيه
لا سيما من عرفت صديقيته وفضله واما انكار نبوتهم او كون الآخر من الملايكه فان كان
المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلما وان كان من العوام زجر عن
الخوض في مثل هذا فان عاد ادب وكره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل
لاهل العلم فكيف للعامه **فصل** واعلم ان من استخف بالقران او المصحف
او بشي منه او سبهما او جحده او حرفا منه او كذب به او بشي منه كان فيه او اثبت ما نفاه
او نفى ما اثبته على علم فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال تعالى لا ياتيه الباطل الآيه
وحديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم المرا في القران كفر يوول بمعنى الشك
وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آيه من كتاب
الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه فكذلك ان جحد التوريه والانجيل وكتب الله

المنزله

المنزله او كفر بها او جحدها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون
ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على رسوله
ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك
او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه
واجمع انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى مالك قتل من سب عايشه رضي
الله عنها بالفريه لانه مخالف للقران مكذب به وقال ابن القسم من قال ان الله تعالى لم يكلم
موسى تكليما قتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا
من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله
لم يكلم موسى تكليما وشهد عليه آخر انه قال ما اتخذ الله ابرهيم خليلا يقتل وقال ابو
عثمن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر
وكان ابو العاليه اذا قرا عنده رجل لم يقل له ليس كما قرات ويقول اما انا فاقرا
كذا فبلغ ابرهيم فقال اراه انه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله
وقال عبد الله بن مسعود من كفر بآيه من القران فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج
من كذب ببعض القران فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد
كفر بالله تعالى وقد سيل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراه فقال الآخر لعن
الله التوريه فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه ساله عن القضيه فقال انما لعنت توريه
اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفه
تحتمل التاويل اذ لعله يرى ان اليهود متمسكه بشي من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق
الشاهدان على لعن التوريه مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقها بغداد على استتابه ابن
شنبوذ المقري احد ائمه المقرين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقرايته واقرايه بشواذ من
الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبه منه سجلا اشهد
فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقله سنه ثلاث وعشرين وثلاثمايه وكان
ممن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيمن قال لصبي لعن
الله معلمك وما علمك وقال اردت سو الادب ولم ارد القران قال ومن لعن المصحف
يقتل **فصل** في سب آل بيته وازواجه واصحابه عليهم السلام وتنقصهم
حرام ملعون فاعله حدثنا الترمذي عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الحديث بطوله وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
اصحابي فانه يجي في اخر الزمان قوم يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا
تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وقال صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي
فاضربوه وقال لا تؤذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا تؤذوني في عايشه
وقال في فاطمة بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلما في ذلك فمشهور مذهب مالك
الاجتهاد والادب الموجع قال مالك من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم ابا بكر
او عمر او عثمان او معوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال او كفر قتل
وان شتمهم بمشاتمة الناس نكل نكالا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقو
الشديده ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله
عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اوجع ضربا
وحكى ابن ابي زيد عن سحنون من قال في الخلفا الاربع انهم كانوا على ضلال او كفر قتل ومن
شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب ابا بكر
جلد ومن سب عايشه قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القران وقال ابن شعبان
عنه لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا الاية فمن عاد فقد كفر وحكى
ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر ما نسبه
اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه في اي كثيرة
وذكر ما نسبه المنافقون الى عايشه فقال تعالى سبحانك سبح نفسه في تبريها
من السو وهذا يشهد لمالك في قتل من سب عايشه وهذا في غاية المعظم
لها رضي عنها وعن جميع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه واذاه باذاه
تعالى وكان حكم موذيه القتل وكذلك موذي نبيه كما قدمناه وشتم رجل عايشه بالكوفه
فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق
راسه واسلمه للحجامين وروي عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله
بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم
احد بعده اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب
اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص احدا
من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفي حق قد قسم الله في ثلاثة اصناف
فقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا الاية ثم قال والذين تبوؤا الدار والايمان وهم الانصار ثم

قال والذين جاوا من بعدهم الاية فمن ينتقصهم فلا حق له في المسلمين وفي كتاب ابن
شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين
حدا له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره
ولقوله عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة
حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له
والا فمن قام من المسلمين كان على الامام قبول قيامه وليس هذه الحقوق لغير الصحابة
لحرمتهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام
قال ومن سب غير عايشه من ازواجه صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل
لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والاخر انها كسائر الصحابة
يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى مصعب عن مالك من سب النبي
... النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا
حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه
مالقة في رجل انكر تحليف امراة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق
ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف
ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن
الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو اخق باسم الفسق من اسم الفقه ولا
يتوبه ولا تشهاد له وهي جرحه ثابته فيه ويبغض في الله

قال القاضي ابو الفضل هنا انتهى القول

بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفى الشرط الذي
شرطناه بما ارجو ان في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى
... منزع وقد اسفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع
... في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع
... من انصار ... لو وجدت من بسط قبلي ...

اودعناه من شرف مصطفاه وامـ[illegible]ـيبه واسهرنا به جفوننا

فشكرنا الله واعملنا فيه خواطرنا من ابراز دسائسه ووسائله ومخباه

عن نار الموقده لحماسا اكرم عرضه ويجعلنا ممن لا يزاد اذا ارتد انبل

عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتسابه واكتتابه سببا

يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير

محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصوصية زمرة

نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول

واهل الباب الايمن من اهل شفاعته بحمده تعالى على ما هدانا

اليه من حمده ذا الهمه وفتح البصيره لدرك حقايق ما اودعناه

ونعم المشتغل به جل اسمه من دعا لا نشقى وعمل لا ينفع فهو الجواد

الذي لا يخيب من امله ولا يبخس من خوله ولا يرد دعوة القاصد

ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى اله وصحبه

وسلم تسليما كثيرا

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه وتيسيره في ليلة

يسفر صباحها عن حادي عشر ذي قعده الحرام سنة [illegible]

[illegible] المحروس [illegible] الملائكة الابرار [illegible] الكوفة [illegible]

[illegible] محمد بن عمر بن الحسن [illegible] الماردني الحنفي

[illegible] له [illegible] ولمن [illegible] محمد [illegible] ما كان [illegible]